جامعة بيرزيت

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب

برنامج ماجستير علم النفس المجتمعي

التجارب اليومية للعمال والعاملات الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وانعكاسها على الصحة النفسية

The Daily Experiences of the Palestinian Laborers in Green Line and its impact on their mental Health

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

نادرة صالح

Nadera E. Saleh

الرقم الجامعي: 1185065

إشراف: د. بيهان القيمري

جامعة بيرزيت – فلسطين

2023

جامعة بيرزيت

BIRZEIT UNIVERSITY

التجارب اليومية للعمال والعاملات الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وانعكاسها على الصحة النفسية

The Daily Experiences of the Palestinian

Laborers in Green Line and its impact on their mental Health

إعداد: نادرة صالح

نوقشت بتاريخ: 13-07-2023

اللجنة المشرفة	التوقيع
الدكتورة بيهان القيمري، مشرفة	------------------------------------
الدكتورة سما دواني، عضواً	------------------------------------
الدكتور حسن عبد الكريم، عضواً	------------------------------------

BIRZEIT UNIVERSITY

كلية الآداب

برنامج ماجستير علم النفس المجتمعي

التجارب اليومية للعمال والعاملات الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وانعكاسها على الصحة النفسية

The Daily Experiences of the Palestinian Laborers in Green Line and its impact on their mental Health

رسالة ماجستير مقدمة من الطالبة

نادرة صالح

نوقشت بتاريخ: 2023-07-13

لجنة المناقشة:

د. بيهان القيمري، رئيسة اللجنة

د. سما دواني، عضواً

د. حسن عبد الكريم، عضواً

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في برنامج علم النفس المجتمعي من كلية الدراسات العليا في جامعة بيرزيت، فلسطين.

تموز 2023

شكر وتقدير

في البداية أشكر الله الذي أعطني الصبر والقوة للوصول إلى هذه المرحلة العلمية العالية، ومهد لي الطريق لأكون بينكم اليوم لأناقش رسالتي الماجستير.

كما وأنني أتوجه إلى معلمتي ومشرفتي الدكتورة بيهان القيمري، بالشكر والامتنان الذي لن توفي أي كلمات حقها، فقد كان لإشرافها ومنحها الكثير من الوقت لي اليد الأولى للخروج في هذه الرسالة العلمية بالشكل الذي ظهرت عليه، كما كان لتوجيهها ونصائحها دور أساسي في إتمام رسالتي العلمية.

والشكر موصول لأعضاء لجنة المناقشة الكرام الدكتورة سما دواني والدكتور حسن عبد الكريم على تفضلهم بقبول مناقشة رسالة الماجستير هذه، ولما قدموه لي من نصائح وتوجيهات أثنت على إثراء هذا العمل ونجاحه.

شكري موصول إلى جميع أساتذتي الذين كانوا معي منذ السنة الأولى في برنامج ماجستير علم النفس المجتمعي، وأخص بالذكر أستاذي العزيز الدكتور إبراهيم مكاوي لروحه السلام والرحمة، ولجميع العمال والعاملات الذين شاركوا في دراستي والذين منحوني الكثير من وقتهم، وبذلوا الكثير من الجهود في سبيل خروج الرسالة بأدق النتائج وأكثرها فعالية.

كما وأقدم شكري لمديرتي في العمل وصديقتي فلافيا أندون التي دعمتي وشجعتني وأعطتني الفرصة للالتحاق ببرنامج علم النفس المجتمعي ووقفت بجانبي للوصول إلى هذه اللحظة.

كما وأقدم شكري إلى صديقتي وأختي آيرين لما قدمته لي من دعم وساعدتني في تدقيق اللغة العربية في رسالتي هذه.

وكما أشكر عائلتي الصغيرة زوجي رزق على صبره ودعمه وتشجيعه المتواصل لي، ومساعدتي في الوصول إلى المشاركين والمشاركات في الدراسة أو عن طريق مساعدته لي في جمع البيانات والمعلومات التي ساعدتني كثيرا في رسالتي، وكما وأشكر والدي ووالدتي وأخي البرت على دعمهم المتواصل ومحبتهم الدائمة لي.

نادرة صلح

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
IV	الشكر والتقدير
VI	فهرس المحتويات
X	فهرس الملاحق
XI	الملخص
XIV	Abstract
1	**الفصل الأول: مشكلة الدراسة وخلفيتها**
2	تمهيد
3	تجربة الباحثة الشخصية
3	المقدمة
4	إشكالية الدراسة
7	أسئلة الدراسة
7	أهمية الدراسة
9	الكلمات المُفتاحية للبحث
11	**الفصل الثاني: مراجعة الأدبيات**

التمهيد	12
السياق الاستعماري	13
الوضع الراهن لسياسة الاستعمار على المُستعمِر	16
تاريخ بداية العمالة في إسرائيل (السياق الاستعماري)	20
تاريخ وتأسيس الحركة العمالية النقابية في فلسطين ونضالها	21
المهن التي يعمل بها العمال الفلسطينيين	23
التحولات الطبقية في فلسطين بعد أسلو	24
العمال الفلسطينيين في سياق انتشار جائحة كورونا	27
واقع العمال وسياسة الاستغلال	29
المنظور النفسي لفانون وبيكو حول الاستعمار وعلاقته بالبنية النفسية للمستعمَر	30
أهمية علم النفس المجتمعي التحرري في حياة المهمشين	40
نشأة علم النفس المجتمعي التحرري داخل الحالة الاستعمارية الفلسطينية	49
بعض النظريات المتعلقة في علم النفس المجتمعي	50
النظرية البيئة / Ecological Theory	52
نظرية الحس النفسي المجتمعي / Sense of Community Theory	53

55	نظرية التمكين / Empowerment Theory
56	نظرية العدالة الاجتماعية / Social Justice Theory
59	نظرية العامل مع الضغط والتأقلم/ The Transaction Theory of stress and coping
62	الدراسات السابقة
66	**الفصل الثالث: منهجية الدراسة والإجراءات**
67	تمهيد
68	منهجية الدراسة
69	مجتمع الدراسة
69	عينة الدراسة
70	المبحوثين ونبذة عنهم
72	أداة الدراسة
73	الوصول للفئة المستهدفة
74	طريقة تحليل البيانات
77	**الفصل الرابع: عرض ومناقشة نتائج الدراسة**

المحور الأول: السياق المكاني والشعوري وانعكاسه على الصحة النفسية للعمال والعاملات الفلسطينيين	78
المحور الثاني: نمط العمل في إسرائيل وكيفية انعكاسه على مفهوم الهوية	87
المحور الثالث: دور الأسرة وانعكاسها على الصحة النفسية للعمال والعاملات	100
المحور الرابع: حقوق الإنسان وارتباطها في قضية العمالة الفلسطينية داخل السياق الاستعماري	104
الفصل الخامس: ملخص النتائج والتوصيات والمقترحات	112
ملخص النتائج	113
التحديات المرتبطة بالدراسة	115
التوصيات	116
الخاتمة وتأملات الباحثة	118
المصادر والمراجع	123
الملاحق	132

فهرس الملاحق

رقم الملحق	عنوان الملحق	الصفحة
1	**الخارطة التوضيحية لمحاور الدراسة**	**132**
2	**أسئلة المقابلات**	**133**
3	**نموذج / مقابلة العاملة فدوى**	**134**
4	**نموذج / مقابلة العامل مصطفى**	**136**
5	**أماكن المقابلات**	**138**
6	**شهادة تدقيق**	**139**

الملخص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة التجارب اليومية للعمال والعاملات الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وانعكاسه على الصحة النفسية من خلال الإجابة على تساؤلات الدراسة المتعلقة في كيف يتعامل العمال والعاملات الذين يعملون في الداخل المحتل مع تجربتهم هذه، وكيف تنعكس هذه التجربة على صحتهم النفسية؟، وما هي تجارب العمال/العاملات المتعلقة بعملهم في الداخل المحتل؟

تم إجراء هذه الدراسة في منطقة بيت لحم، وشارك فيها (15) فرد، منهم 9 ذكور، و6 إناث، وقد تراوحت أعمارهم ما بين 25 إلى 60 عاما. أما أداة الدراسة فقد اعتمدت على المقابلات الفردية المعمقة مع المبحوثين. منتهجة في ذلك المنهج الكيفي، لقدرته على استقراء الواقع من خلال الاستماع لسرديات المشاركين والمشاركات، وباستخدام النظرية المتجذرة (Grounded Theory)، تم تحليل ما جمع من بيانات، وقد كانت أهم النتائج:

- أن جميع العمال والعاملات يتفاعلون ضمن عدة سياقات أولها كان السياق المكاني هو السياق الفلسطيني الذي ينتمي له جميع العمال، الذي يؤثر على نفسيتهم بشكل إيجابي، وينتج عنه الإحساس في الثقة بالنفس والقوة والأمان النفسي بالإضافة لشعور بالانتماء لأنهم يعتبرون السكان الأصليين ولديهم المعرفة الكاملة بالموارد البيئية التي يتفاعلون معها بشكل يومي. أما ثانيها فيما يتعلق في السياق المرتبط بالحاجز، أن جميع العمال والعاملات يتأثرون بشكل سلبي مما يؤثر على نفسيتهم وتوافقهم النفسي سواء بممارسات الإحتلال المباشرة أو غير المباشرة التي يتعرضون لها يوميا، عدا عن المعاناة والقلق

والتوتر بسبب الحاجز، وإضافة لهذه المشاعر تمثلت في القهر والذل والغضب، وإضافة لذلك تعرضهم للانتهاك السافر لكرامتهم. وثالثها داخل الخط الأخضر فكانت النتائج بأن الغالبية يتعرضون لبيئة خالية من الأمن والأمان خاصة بأنهم في بيئة مختلفة عن بيئتهم فيشعرون في الوحدة والخوف والتوتر والعصبية، بالإضافة إلى الإحساس بالدونية والاغتراب النفسي.

- نمط العمل في إسرائيل انعكس على مفهوم الهوية، بشكل أدى إلى الاغتراب النفسي الذي عانى منها الأقلية من العمال والعاملات، لعدم قدرتهم على العودة لبيوتهم بسبب الإغلاقات الأمنية، أو اضطرارهم للمبيت في أماكن عملهم، بالإضافة لظهور صراع الهوية الوطنية الذي تشكل لدى البعض من العمال والعاملات. بالمقابل أثر على معظمهم بشكل إيجابي فخلق لديهم الجلد والصمود، إذ أن العمل النضالي كان واحدا من العناصر التي عززت الإحساس بكون الشخص ينتمي لهوية، وهي في نظره تحمل طابعا مميزا، حيث أنها تعطيه القوة في الخروج للمطالبة بحقه. بالإضافة إلى التمكين الذي تشكل لدى بعض العاملات، مما أصبح لديهن قوة شخصية، بدوره عزز لديهن الكفاح والصبر من أجل الوصول لتحسين من وضعهن الاقتصادي. وأيضا ظهر التكيف لدى البعض من العمال والعاملات ليتغلبوا على المحن والصعوبات للوصول إلى حياة كريمة وصحية، وصولا إلى التوافق النفسي والاجتماعي.
- لعبت الأسرة دورا مهما في حياة العمال والعاملات مما انعكس عليهم بشكل إيجابي حافظ على الروابط الأسرية بينهم وبين عائلاتهم.

- قضية العمالة داخل السياق الاستعماري وارتباطها في حقوق الإنسان، لها دور كبير وبارز في هذه الدراسة، بالشكل الذي ألقت الضوء على جميع الانتهاكات التي تعرض لها العمال والعاملات سواء الحق في الأجور والعمل، الحق في بيئة آمنة للعمل بكرامة، والحق في وجود حرية ومساواة وعدالة وغيرها من الحقوق الكاملة التي يحصل عليها العامل كغيرة.

Abstract

This study has aimed to delve into the daily experiences of the Palestinian laborers in Green Line and its impact on their Mental Health.

By answering the study's questions related to how male and female workers who work in the occupied territories deal with this experience, and how does this experience reflect on their mental health? What are the experiences of male/female workers related to their work in the occupied territories?

This study was conducted in the area of Bethlehem. (15) Individuals have participated in it, including 9 males and 6 females aged between 25 and 60 years old. A qualitative research approach is suitable through using in-depth individual interviews to construct narratives related to their experiences. The Grounded Theory, has guided data analysis, several major themes have emerged such as:

-All male and female workers interact within several contexts, the first of which was the spatial context to which all workers belong, affecting their psyche positively, and resulting in a sense of self-confidence, strength and safety in addition to a sense of belonging because they are considered natives and have full knowledge of the environmental resources they interact with on a daily basis.

As for the second, with regard to the context related to the checkpoint, it was that all workers, male and female, are negatively affected, which affects their psyche and psychological compatibility, whether by the direct or indirect occupation practices that they are exposed to on a daily basis, not to forget the suffering, anxiety and tension caused by the checkpoint, and in addition to these

feelings there is oppression and humiliation. Moreover, they were subjected to a flagrant violation of their dignity which caused anger.

The third is the Green Line, the results were that the majority are exposed to an environment devoid of security and safety, especially that they are in an environment different from theirs, so they feel sense of estrangement, fear, tension and nervousness, in addition to a sense of inferiority and psychological alienation.

- The pattern of working as a worker in Israel reflected on the concept of identity, in a way that led to the psychological alienation that the minority of male and female workers suffered from, because they were unable to return to their homes due to security closures, or having to sleep in their work places, in addition to the emergence of the national identity conflict that was formed among some of the male and female workers. On the other hand, it has affected most of them positively, creating fortitude and steadfastness in them. This struggle to work was one of the elements that reinforced the sense of belonging to a collective identity, which in the worker's view bears a distinctive character, as it gives them the strength to go out to claim his/her right. Moreover, the sense of empowerment that was formed among some female workers, which gave them a strong personality, which in turn strengthened their resistance and patience in order to improve their economic situation. Adaptation has also appeared among some male and female workers to overcome adversities and difficulties in order to achieve a decent and healthy life, achieving a psychological and social harmony.

- Family has played an important role in the lives of male and female workers, which supported them positively, in a way that preserved family ties between them and their families.
- The issue of employment within the colonial context and its connection to human rights has a major and prominent role in this study, in a way that sheds light on all the violations that male and female workers were subjected to, like the right to wages and work, the right to a safe environment to work with dignity, and the right to freedom, equality and justice and other full rights that the worker should obtain just like other workers.

الفصل الأول

مشكلة الدراسة وخلفيتها

الفصل الأول

التعريف بالدراسة

تمهيد

في هذا الفصل سيتم استعراض خلفية الدراسة من حيث الأهمية والإشكالية وأهداف وأسئلة الدراسة، بالإضافة للتعريفات التي تناولتها الدراسة.

[تجربة الباحثة الشخصية مع العمال والعاملات الفلسطينيين]

على مدار العشر سنوات الأخيرة عملت وما زلت أعمل في القسم الاجتماعي في مؤسسة راهبات المحبة بمدينة بيت لحم كباحثة اجتماعية أتابع العائلات الفلسطينية التي تعاني من ضائقة نفسية واجتماعية واقتصادية، وأقدم لهم الدعم النفسي والاجتماعي، ومن بينهم شريحة من العمال والعاملات الفلسطينيين الذين واللاتي يعملون تحت الظرف الاستعماري. خلال تواجدي مع البعض منهم في جلسة إرشادية قال أحدهم: "**متأسف لأنني لم ألتزم في موعدي وذلك لتعرضي للضرب الشديد على الحاجز ولم أتمكن من اللحاق بالموعد، وأيضا تعرضي للعنف اللفظي يا حيوان تحرك!**" وعامل آخر قال: "**يقوم المقاول باستغلالي ولا يعطيني أجري وتعبي من المال**"، فيما قالت عاملة أخرى: "**شغلي مُتعب لأني أضطر للاستيقاظ باكرا الساعة الرابعة لأستطيع اللحاق بموعد عملي، لأني بسمع كلام سيء من الجنود وغير الكلام اللئيم معي! هذه مواقف كتير بشعة ومش إنسانية!**".

المقدمة

في خضم هذه التجارب اليومية المؤلمة للعمال والعاملات الفلسطينيين الذين واللاتي أتعامل مع البعض منهم في عملي كمنتفعين أرى من المهم تسليط الضوء عليها باعتبارها تخص فئة مهمشة مجتمعيا، لأنهم يضطرون للعمل عند المُستعَمِر في سبيل لقمة العيش والنضال الوطني المتمثل في الجلد والمقاومة، وبسبب قلة فرص العمل في الضفة الغربية وبالتحديد بمدينة بيت لحم لإعالة أبنائهن وخاصة الأرامل والمطلقات منهن. تجارب العمال هذه جعلتني أفكر في التعرف على كيفية تأثير هذه التجارب والمعاناة اليومية التي يمرون بها وأثرها على صحتهم

النفسية، أو إلى فِهم التجارب اليومية وكيفية تفاعلهم مع الأنساق المختلفة وعلاقات القوة والسيطرة التي يعيشون ضمنها وكيف تنعكس على صحتهم النفسية في السياق الاستعماري نتيجة قمعهم اليومي سواء بفعل نضالي أو مقاوم لذات الاستعمار.

يعاني العمال/ العاملات على مدار سنوات من الاستعمار الصهيوني في فلسطين المتمثل في السلوك العنيف الذي يستخدمه الجيش الإسرائيلي والشرطة الإسرائيلية ضد العمال الفلسطينيين، باستخدام الكلاب البوليسية لمهاجمتهم وبث الهلع في نفوسهم. جميع هذه التجارب تخلق لديهم حالات نفسية قد تؤثر على صحتهم النفسية، وصراعات داخلية مرتبطة بالهوية الذاتية أو الوطنية، والمتمثل في عدم وجود عدالة اجتماعية ومساواة فضلا عن التمييز العنصري، لكن مع كل ذلك، ما زال الشعب الفلسطيني صامدا، ويضع لنفسه آمالا وتطلعات بهدف تحقيق واقع أفضل (منظمة التحرير الفلسطينية، 2020).

إشكالية الدراسة

تعيش المجتمعات أشكالاً مختلفة من الصراعات بين الجماعات والتي تختلف باختلاف الأسباب التي تدفع بها للظهور، حيث تتنوع هذه الأسباب وتتعدد، عملية البحث في هذه الأسباب يعطي بعداً تحليلياً عند النظر لقضية الصراع التي تشكل جزءاً من المنظومة التي تحكم علاقات الأفراد والمجموعات مع بعضهم البعض، ومن هذه الصراعات تتمثل في الصراع السياسي الذي يأخذ أشكلاً متعددة، وعند النظر للجماعات في البيئات المضطهدة، يمكننا ملاحظة أشكال مختلفة لهذا الصراع، وهو صراع الأفراد أنفسهم لتحقيق حالة من التحرر والتغيير للوضعية

التي توجد عليها الجماعات المتواجدة في تلك البيئات إلى أشكال أخرى تتدخل في طبيعة عمل الجماعات داخل الجماعة الأكبر (زايد، 2006).

فتلك الجماعات تعاني من حالة الحرمان والاضطهاد الذي ينعكس بأشكال متعددة على طبيعة ومسار حياة تلك الجماعات، ومن هذه الجماعات المتواجدة في بيئة الحرب فمثل هذه الجماعات تتعرض لأشكال مختلفة من الاضطهاد، ابتداء من النظام الحاكم وامتدادا للنظام المحُتل والمُسيطر على كيان هذه الجماعات ومواردها، ناهيك عن ممارساته المختلفة التي تخالف المبادئ الإنسانية، وأولها انتهاكها لحرمة هؤلاء الأفراد وأملاكهم واحتلال أرضهم وطردهم منها بطرق وحشية تصل لحد القتل والدمار، وترحيلهم عن أماكن سكنهم، وإحلال غيرهم مكانهم، إضافة لعمليات القتل والاغتيالات المتواصلة. إذ تعد فلسطين من أبرز الأمثلة على هكذا نموذج من المجتمعات التي لا تزال تقبع تحت نير الإحتلال منذ سنوات وتتوالى عليها نكبات متعددة تحمل طابعها الذي يميزها عما قبلها فتكاً، وعند النظر إلى السياق التاريخي للمجتمع الفلسطيني، نستطيع القول أنه مجتمع عانى الكثير من الحروب التي خلقت نتائج كارثية سواء بقتل العديد من الفلسطينيين أو اعتقالهم أو مصادرة أراضيهم وتشريدهم من ديارهم لأنحاء متفرقة من الأراضي الفلسطينية نفسها أو إلى الدول المجاورة. وتقسيم فلسطين لمناطق حُرم العديد من مواطنيها حرية دخولها والتنقل في أرجائها. الأمر الذي خلق شعباً مهجراً يعاني من أزمات وانتهاكات، ناهيك عن العدوان المستمر والاجتياح الذي خلق آثار سلبية على نفسية المواطنين وجعلهم يقاسون كثيرا من الظروف الصعبة على المستويات المختلفة سواء كانت النفسية، الاجتماعية، والاقتصادية، عدا عن الاعتداءات المستمرة لغاية اليوم التي يتعرض لها

الشعب الفلسطيني سواء من هدم البيوت والتعدي على الممتلكات العامة والخاصة لهم (أبو صبح، 2011).

إن الإفراط في تصور أفراد المجتمع الفلسطيني بكونهم ضحايا يعمل على تهميش وتجاهل الحديث حول الآليات المتبعة التي يستخدمها الشعب الفلسطيني في الحفاظ على بقائه إذ لا يتم الاهتمام في تجارب واقع الشعب اليومية وسلامته النفسية وقدرته على التحمل والجلد، وأين تكمن قوته التي تدعم فكرة وجوده، وتساهم في إحداث حالة من التوافق النفسي، فعلى الرغم من ظروف الحياة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني والتي شهدت تراجعاً كبيرا منذ بدء الانتفاضة الثانية بسبب تفاقم وتصعيد عمليات العنف العسكري الإسرائيلي، وقصف وهدم المنازل، وتجريف الأراضي الزراعية والحصار وتصاعد البطالة والفقر إلا أن الشعب الفلسطيني لا يزال صامداً ولديه من الوسائل التي تساعده على الاستمرار ولا زال يتسلح بها لمواجهة كل أشكال القهر والعنف والذل الذي يعيش أحداثها يوميا بفعل ممارسات الإحتلال الإسرائيلي (جقمان وآخرون، 2004).

من هنا تبرز قضية العمال والعاملات الفلسطينيين الذين يمثلون فئة من الشعب الفلسطيني ويعيشون تحت ظروف القهر والاضطهاد والقمع والتمييز اليومية التي يتعرضون لها سواء على الحواجز التي تحولت إلى رحلة عذاب يومية أو خلال تواجدهم في عملهم حيث يعملون في ظروف صعبة جدا سواء بسبب الحر أو البرد الشديدين، أو بسبب افتقار ظروف العمل للحد الأدنى من مقومات الأمان والسلامة المهنية، أو خلال عودتهم من عملهم إذ يواجهون العديد من التحديات والصعوبات المتمثلة في إيقافهم من قبل الجيش الإسرائيلي على الحواجز

الطيارة أو تعرضهم لإطلاق النار أو تعرضهم للكلاب المتوحشة، عدا عن تعرضهم للإهانات، وللعنف الممارس ضدهم بمختلف أشكاله. (منظمة التحرير الفلسطينية، 2020).

أسئلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة عرض تجارب العمال والعاملات الفلسطينيين كونه موضوعا لم يتطرق له الباحثين، ولندرة الدراسات السابقة التي تناولت موضوع العمالة الفلسطينية من الناحية النفسية، فقد أجريت مقابلات أولية مع عامل وعاملة بالإضافة لتواجدي على ما يسمى حاجز 300 وهو الحاجز الفاصل بين بيت لحم والقدس المُحتلة، لمراقبة العمال هناك وخاصة عند ذهابهم وعودتهم من العمل، إذ تسعى الدراسة هذه في إطارها العام إلى فهم تجارب العمال/ت الفلسطينيين والإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

كيف يختبر العمال والعاملات الذين يعملون في الداخل المحتل تجربتهم هذه، وكيف تنعكس هذه التجربة على صحتهم النفسية؟

أما الأسئلة الفرعية الآتية:

ما هي تجارب العمال/العاملات المتعلقة بعملهم في الداخل المحتل؟ وكيف يتعامل العمال والعاملات بدورهم مع هذه التجارب؟ وكيف تنعكس هذه التجارب على صحتهم النفسية؟.

أهمية الدراسة

التعمق في تجارب فئة العمال التي قد تكون مغيبة عن المجتمع الفلسطيني، وذلك من خلال "رفع صوت" العمال والعاملات الذين يعملون تحت الظرف الاستعماري من منظور علم النفس المجتمعي التحرري كونهم يواجهون قمع المُستَعمِر وأصبحوا يجدون أنفسهم أقلية، ويضاف

لذلك أهمية الكشف عن انعكاس هذه التجارب على صحتهن النفسية، إثر تعرضهم اليومي للقمع سواء بفعل نضالي أو مقاوم لذات الاستعمار ويتم هذا ضمن سياق الوضع السياسي لفلسطين كونها تحت الاستعمار، أي في ظل تغييب صوت العمال والعاملات الفلسطينيين وتهميشهم بالرغم من الدور النضالي الذي قاموا به والمتمثل في مقاومة الإحتلال التي تعني مواجهة استراتيجيات الإحتلال الصهيوني سواء كان ذلك وجها لوجه مثل المظاهرات والمسيرات أو كانت عبر اختراق الحواجز المادية وقرارات أوامر المنع التي خلقها الإحتلال الصهيوني للوصول إلى أراضي48 وتحقيق انتصارات كثيرة سابقة، وأيضا ستلقي الدراسة الضوء على تجارب الذكور والإناث من العاملين والعاملات، بالإضافة إلى كون هذه الدراسة جديدة من نوعها التي يمكن الاستفادة من نتائجها في إعداد برامج إرشادية مجتمعية ذات توجه جمعي الذي يعمل على تمكين العمال، وهذه الدراسة تكون كأداة توعوية مجتمعية تزرع الوعي لدى أفراد المجتمع الفلسطيني، لأهمية هذه الشريحة وما تعانيه من تجارب قاسية من أجل كسب لقمة العيش، إذ باعتقادي أن هناك الكثير من الصور النمطية والمعتقدات السلبية حول هذه الفئة، وبالتالي من المهم فهم هذه التجربة من أجل محاول تكسير هذه الصور أو على الأقل توسيعها، ويضاف لهذا كون هذه الدراسة ستسلط الضوء على واقع السياق الفلسطيني بتجلياته السياسية والتاريخية للكشف عن مفاهيم مختلفة نتيجة تجارب هذه الفئة كونها تعمل في إسرائيل ومدى انعكاسه على الصحة النفسية.

من هنا تكمن أهمية دراسة التجارب اليومية بشكل معمق لهذه الفئة لتمكننا من وصف سلوكيات العمال ومشاعرهم وردّات فعلهم وتوجهاتهم في السياق الاستعماري بشكل يومي، فهذه التجارب

يمكن أن تشكل تحديات استثنائية للأفراد، الأمر الذي يمكن أن ينتج معانٍ ومفاهيم مختلفة تعتمد على خبرة الأفراد وتجاربهم وتصوراتهم، فمن خلال دراسة الخبرات نحاول فهم المعاني التي ينتجها الأفراد عندما يمارسون أنواعا مختلفة من النشاطات اليومية، إضافة لذلك محاولة ما إذا كانت تلك النشاطات تشكل تحدياً وتغيراً في هياكل القوة المفروضة على ذاتهم. ووقوع الشعب الفلسطيني تحت هيمنة الإحتلال الصهيوني الذي يسيطر على حياة الشعب الفلسطيني يوميا، بالشكل الذي قد غير بعض من المفاهيم المتعلقة في المفهوم النضالي للعمال والذي اتخذ في السابق شكلا مختلف فكان النضال عن طريق النقابات واللجان العمالية أما اليوم فاتخذ شكلا مختلفا فأصبح النضال اليوم النضال من أجل لقمة العيش والصمود لتحقيق ذلك (Hilal, 2018).

الكلمات المُفتاحية للبحث

التجارب: حدوث تفاعل الخبرات السابقة وبين ما يستقبله الفرد من مثيرات مستمدة من الواقع الخارجي، ما ينتج عن تلك التفاعلات مركب خبري من تلك التجارب المكتسبة من الواقع الخارجي، وأكثر كفاءة لمجابهة ذلك الواقع واستثمار مقوماته بكفاءة أكبر (أسعد، 2020).

العامل: هو الفرد البالغ عمره 15 سنة فأكثر والذي باشر عملا معينا ولو لساعة واحدة خلال فترة الإسناد الزمني سواء كان لحساب الآخرين بأجر أو لحسابه أو بدون أجر في مصلحة للعائلة أو كان غائباً عن عمله بشكل مؤقت بسبب مرض، عطلة وغيرها من الأسباب، ويصنف العاملون حسب العمل الأسبوعي إلى عاملين من (1-14) ساعة، عاملين (15) ساعة فأكثر،

وكذلك الأفراد الغائبون عن أعمالهم بسبب المرض، إجازة مدفوعة الأجر، أو إغلاق، وما شابه يعتبروا عاملين (1–14) ساعة (الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2019).

التعريف الإجرائي للتجارب: تعني تلك المواقف أو الظروف التي يعيشها الإنسان في سياقات مختلفة ويتفاعل معها بطرق مختلفة بحيث تشكل له مرجعا للتعرف على الأمور والتعمق بها وفهمها من خلال معايشته لتلك السياقات واكتساب مهارات وطرق جديدة للتأقلم أو للصمود.

حُسن الحال (Well–being): حالة التحرر من الحرمان النفسي والجسدي والاقتصادي والاضطهاد والعنف السياسي في المجتمع الفلسطيني للمجموعات والأفراد الذين يعيشون تحت الظرف الاستعماري، والذين تمكنوا من الصمود والمقاومة والجلد لتغيير والتحرر الوطني والعدالة الاجتماعية التي تضمن لهم العيش حياة كريمة خالية من جميع أنواع العنف والاضطهاد والظلم.

التعريف الإجرائي للعامل الفلسطيني: هو كل مواطن فلسطيني يعمل في الداخل المحتل سواء من هم نظاميين وغير نظاميين ويعيشون داخل الأراضي الفلسطينية.

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيات

الفصل الثاني

مراجعة الأدبيات

تمهيد

في هذا الفصل سوف يتم التطرق إلى الأدبيات التي تناولت موضوع العمالة الفلسطينية في السياق الاستعماري، بالإضافة إلى الأدبيات عن الصحة النفسية في فلسطين.

السياق الاستعماري

السياق الذي يحتوي على أعراق وثقافات مختلفة، ويضم العرق الغريب والأقل عدداً، وهو في الحقيقة العرق المُسيطر اجتماعياً واقتصادياً، نتيجة تحكمه وسيطرته على مصادر القوة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتتحقق هذه السيطرة ويتم تسييرها عن طريق القوة العسكرية والتفوق المادي الذي يملكه العنصر المُهيمن (Jinadu,1976). لا يعرف تاريخ زمني يمكن أن نشير إليه باعتباره بداية الاستعمار الأوروبي الذي تأسس فعليا منذ بداياته الأولى على المصالح الاقتصادية والتوسعية للغرب في البلدان الأخرى. وزادت هذه المصالح بظهور النزعة القومية في أوروبا وما تلا ذلك من نشوء للبرجوازية والرأسمالية والطبقة العاملة، بالتزامن مع التقدم الصناعي والحاجة إلى الأسواق والمواد الخام. حيث كانت العنصرية التي قامت على دونية الأعراق الأخرى، هي الوسيلة التي من خلالها حاولت الدول المُستعمِرة أن تعطي شرعية لممتلكاتها الخارجية، مبررة ذلك تفوقها على الطبقات المقموعة. امتاز هذا التوجه بادعاء نقل حضارة الرجل الأبيض، كي يبرر المُستعمِرون ممارستهم العنيفة، هذا جعلهم أبطالاً في نظر شعوبهم، وجعل الاستعمار عملاً أخلاقياً تبشيرياً يسعى إلى تنوير الشعوب التي تعيش في الظلام (Woodward,1971). الفكرة الاستعمارية (استبدال شعب بشعب) والعنصرية (استبدال ثقافة بثقافة) لا يمكن إنجازها "إلا بطقس العنف المميت"، لذلك كانت كل شهادات المُستعمِرين الأوائل تسخر من مفهوم الحرب عند الهنود لافتقارها عنصرين أساسيين في الثقافة الحربية الكلاسيكية وهما: القتل و التوسع في الأرض (العكش، 2002).

ينبغي بالضرورة التفريق بين مفهومي الاستعمار والاستعمار الاستيطاني، في محاولة لتحديد نوع المشروع الصهيوني في فلسطين، إذ يتحقق الاستعمار عندما تنتقل مجموعة ما للعيش في منطقة أخرى وتقوم بتأسيس سلالة لها هناك، وتقوم باستغلال الأرض المُستعَمرة والسكان المُستعَمرين. كما ويحافظ الاستعمار على علاقة واضحة مع دولة الأم والعاصمة. أما الاستعمار الاستيطاني الذي يظهر في أوروبا كوسيلة لفرض هيمنة الدول الأوروبية والحضارة الغربية على شعوب آسيا وأفريقيا والأمريكيتين وأستراليا، فقد كان الهدف بالأساس السيطرة على الأرض والثروات، وكان يتم طرد السكان الأصليين بالإبادة والإرهاب من أجل امتلاك الأرض باعتبارها هي الركيزة الأولى له، وأيضا الهدف الآخر للاستعمار استغلال طاقة العمل للسكان الأصليين واستغلال ثروات وموارد المكان، أما الاستيطان فإن هدفه إنهاء وجود الأصلانيين بالطرق المختلفة كالقتل، الطرد والاقتلاع (Veracini,2011). وهكذا فإن الاستعمار الاستيطاني هو "بنية وليس حدث"، يهدف للوصول إلى غاياته عن طريق بنية واضحة ممنهجة وليس عن طريق أحداث عابرة. فهو يهدف إلى ترحيل السكان الأصليين، وقد يكون هذا الترحيل هو محو وتشريد وتهجير وإحلال المستوطنين محلهم، وقد يكون تغييب السكان الأصليين أيضا عن طريق محو موروثهم وطقوسهم الدينية أو عن طريق ذوبانهم في المجتمع الاستيطاني، وبذلك فان تتبع الممارسات الصهيونية في فلسطين والتي يتم تبريرها بدواعٍ قومية بحتة، يظهر بوضوح أنها ممارسات استعمارية استيطانية (Pappe,2007).

وبالعودة إلى إدوارد سعيد حول الاستشراق والتفوق العرقي، نقد فيه فكرة التفوق الغربي للرجل الأبيض المُستعمِر على شعوب الشرق الخاضعة لاستعماره. ويتضح ذلك من خلال ما أورده

من صور نمطية وأفكار مسبقة وممارسات تعيد إنتاجها. ناقش سعيد أن جوهر الصور المجازية والنمطية للعقل الإفريقي حول إيصال الحضارة للشعوب البدائية أو البربرية، ما هي إلا خطاب استعماري للغة العنف التي يمارسها المُستعمِر (سعيد، 2004). وفي حقيقة الأمر فإنه بتفكيك الخطاب الاستعماري قام سعيد بتعرية ومواجهة ادعاء الحضارة وتزيفها، وأظهر الكيفية التي يسعى فيها الاستعمار بشكل حثيث إلى خلق منظومة استعمارية متكاملة الهيمنة، تندمج فيها العوامل المادية والنفسية لإيجاد مؤسسة للهيمنة الدائمة والتبعية المستمرة، بعد أن تخرج الدولة المُستعمرة من البلاد التي استعمرتها، أي أن جُل ما تسعى إليه الدول المُستعمِرة هو تأسيس نظام تابع يعزز التزام الدولة المُستعمرة بحالة الضحية. ويمكن اعتبار الاستعمار بحد ذاته حالة سادية جماعية تمارس بشكل واعٍ أو غير واعٍ من الدولة المُستعمِرة أي أن السادية تهدف إلى تحويل الإنسان إلى "شيء"، أي تحويل الحي إلى لا حي وذلك بالسيطرة الكاملة والمطلقة عليه وسلبه الحرية التي هي أساس الحياة (فريري، 2003).

واستكمالا لذلك فالاستعمار الصهيوني "الإسرائيلي" هو استعمار إحلالي ويمكن مقاربته مع نماذج استعمارية إحلالية أخرى تم بها الاستيلاء على الأرض وإخراج سكانها الأصليين منها، وبهذا الصدد فإن الاستعمار الصهيوني لم يكن يستهدف استغلال السكان الأصليين فقط بل إلى تشريدهم وتفريغ قراهم ومدنهم من أهلها بعد عمليات الذبح والقتل وطرد السكان الفلسطينيين إلى خارج حدود فلسطين وتشريد ثلاثة أرباع السكان (Hilal, 2008).

الوضع الراهن لسياسة الاستعمار على المُستعمر

يعاني الفلسطيني داخل السياق الاستعماري الكثير من الصعوبات التي من المهم دراستها ومعرفتها وإلقاء الضوء عليها، تبدأ عندما يتفاعل الأفراد والجماعات مع الأنساق الاجتماعية المختلفة، وهذه الأنساق تولد العديد من المشاعر سواء الإيجابية أو السلبية منها وبدورها تؤثر على نفسية الأفراد. يتفاعل الشعب الفلسطيني مع الكثير من السياقات قبل وصوله لأماكن عمله، إذ يعتبر الحاجز ضمن السياق الاستعماري الذي يُمارس فيه أشكال واضحة من التمييز العنصري ضد المواطنين الفلسطينيين، بدءاً من الطوابير الطويلة والتفتيش أو باستخدام الكلاب البوليسية في بعض الحالات والمعاملة المُذلة، بالإضافة إلى "الحَشِر" الذي يسبب تدافع وتزاحم، عدا عن الانتظار لساعات طويلة. بالإضافة للسياق المرتبط بالتمييز في الأجر والحقوق الاجتماعية، إذ يتلقى المواطن الفلسطيني وبالذات المواطن بدون "ترخيص" أو بدون عقود عمل أقل من العامل الإسرائيلي، بالرغم من عملهم في ذات المنشأة، إذ يمتد هذا التمييز إلى التعويض في حالات إصابات العمل والعجز. يضاف إليه عمل الفلسطيني ساعات أطول دون تقاضي أجر بدل العمل الإضافي، عدا عن التلاعب في أيام العمل بحيث يجري تسجيلها من المشغل الإسرائيلي بأقل مما هي عليه فعلياً، ويليه السياق المتعلق في السماسرة، حيث يتعرض الفلسطينيون للاستغلال من قبل سماسرة التصاريح أو السائقين الذين يعملون على نقلهم من وإلى الحواجز وأماكن العمل، بالإضافة إلى التصاريح التي يتم شرائها بتكلفة عالية، والاحتيال من قبل أصحاب العمل والمشغلين، إذ في كثير من الحالات يُبلغ المشغل الإسرائيلي عن العامل بادعاء أمني زائف وإيقاف تصريحه نتيجة مطالبته بحقوقه العمالية. واستكمالا لذلك

السياق يتعرض العمال لبيئة العمل الخطرة وانعدام السلامة في أماكن العمل، حيث أن الغالبية العظمى من العمال الفلسطينيين يعملون في القطاعات الخطرة والشاقة مثل قطاع البناء والإنشاءات، إذا لا يتم فيها توفير مقومات الأمن والسلامة لهم، في المقابل تتوفر المعدات الوقائية للعامل الإسرائيليين، وهو ما يؤدي إلى تسجيل إصابات عمل مرتفعة العديد منها قاتلة سنوياً (مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية، 2020).

أما العمال الفلسطينيين غير منتظمين يتعرضون لظروف وتجارب أصعب من القانونيين، فيما يختص في السياق الصحي فهم لا يتلقون العلاج في حال تعرضهم لإصابة العمل، وأقصى ما يمكن تقديمه لهم في حال حدوث ذلك إلقائهم على الحواجز بطريقة عنصرية مُهينة يتم فيها ملاحقة هؤلاء المواطنين ومطاردتهم بشكل عنيف، وتعرضهم لإطلاق النار المباشر أثناء محاولتهم الوصول إلى أماكن عملهم من الشرطة الإسرائيلية والوحدات الخاصة، وتستمر مطاردتهم كأنهم "مجرمين" واستخدام العنف والتنكيل والإهانات ومداهمة أماكن عملهم بحثاً عنهم، هؤلاء المواطنين يتم ترحيلهم أو سجنهم أو تقديمهم للمحاكمة وتغريمهم غرامات مرتفعة وتوقيعهم على تعهدات عند إلقاء القبض عليهم، أما المبيت عادة ما يضطرون للنوم في العراء أو المباني قيد الإنشاء أو المزارع أو عبارات المياه والتي تعتبر جميعها غير صالحة للاستخدام الآدمي، فضلاً عن تناول الطعام المُصنع وبكميات قليلة ما يؤدي على المدى البعيد إلى إصابتهم بأمراض صحية تراكمية خطيرة (الصباغ، 2018).

عدا عن المشكلات الأخرى التي خلقها الإحتلال الصهيوني على الصعيد الاقتصادي مثلا، عملت دولة الإحتلال منذ احتلالها لفلسطين على خنق أية إمكانية لقيام اقتصاد فلسطيني

مستقل، وفرضت العديد من السياسات والقيود التي تجعل الفلسطينيين تابعين اقتصاديا لسلطة الإحتلال تبعية كاملة، بهدف إذلالهم في تأمين لقمة عيشهم واحتياجاتهم. وتكشفت هذه النوايا الإحتلالية بوضوح عشية حرب سنة 1967 واحتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، حيث شكلة سلطة الإحتلال لجنة اقتصادية من بنك "إسرائيل" المركزي ولجنة الإحصاء المركزية، بهدف ربط الاقتصاد الفلسطيني بالاقتصاد الإسرائيلي، وجعله سوقا خاصة للسلع الإحتلال، ومصدرا للعمالة ومعبرا للانطلاق إلى السوق العربية (أبو وردة، آخرون، 2011).

طالت هذه السياسة الإحتلالية مقومات الحياة الاقتصادية في الضفة الغربية وقطاع غزة كافةً، حيث استهدفت المجتمع الفلسطيني في سياسة الباب المفتوح والتي تهدف إلى رفع متطلبات الفرد الاستهلاكية، بينما تقتل في الوقت ذاته قدرات المجتمع الاقتصادية والانتاجية. إذ طبقت هذه السياسة عام 1968، التي سمحت للعمال الفلسطينيين بالعمل داخل أراضي 1948، وتحكمت بالواردات والصادرات بحيث تتدفق بضائع الاستعمار الصهيوني إلى أسواق الضفة والقطاع بأسعار مدعومة، بينما كانت المنتجات الفلسطينية تخضع لعوائق مختلفة أبرزها الزيادات الضريبية الباهظة، في حال أريد إدخالها إلى السياق الاستعماري. بالإضافة لفرض التبعية الاقتصادية المطلقة على الفلسطينيين، حيث تكون دولة الإحتلال المصدر الرئيسي والوحيد للدخل وكذلك السوق الرئيسي للتبادل التجاري. تم تأسيس نوع من الاتحاد الجمركي بين سلطة الإحتلال وسلطة الحكم الذاتي إلا أن سلطات الإحتلال ظلت الوحيدة المخولة بجمع الضرائب الجمركية وإعطائها للسلطة الفلسطينية، لاحقا أصبحت تستخدمها كورقة ضغط، حيث كانت تشكل مصدر دخل مهم للسلطة الفلسطينية. مما أدى إلى زيادة نسبة البطالة في

الأراضي الفلسطينية. أما على الصعيد الآخر لقد صادر الإحتلال الاسرائيلي، مساحات شاسعة من الضفة والقطاع أو أعلنتها مناطق عسكرية مغلقة، ووضعت البنية التحتية لبناء شبكة من المستعمرات، تقطع أوصال المناطق الفلسطينية خاصة في الضفة الغربية وحول القدس. إذ غدت الضفة الغربية بذلك أقرب للجزر المعزولة عن بعضها البعض، حيث تفصلها الحواجز والمعابر وشبكات الطرق الخاصة بالمستوطنين والأسيجة، مما يعيق التواصل الجغرافي اللازم لأية حركة اقتصادية. كما منعت سلطات الإحتلال العديد من المزارعين الفلسطينيين من الوصول إلى أراضيهم واستغلالها. واستكمال لهذه الأعمال غير الإنسانية نهب الاستعمار الصهيوني موارد الضفة الغربية والقطاع الطبيعية مثل المياه، والمادية عبر الضرائب الباهظة التي فرضتها على الشعب الفلسطيني (عيتاني وداود، 2015). أما على الصعيد التنقل والحركة، تتحكم قوات الإحتلال بمفاصل الحياة اليومية للفلسطينيين، من خلال تحكمها بقدرتهم على التنقل والحركة، مما يزيد من معاناتهم الإنسانية، وكذلك الاقتصادية، وقد ذكر البنك الدولي في العديد من تقاريره أن نظام الإغلاقات في الضفة الغربية والحواجز وحصار غزة من الأسباب الرئيسة وراء الأداء الاقتصادي الضعيف. إذ تفرض قوات الإحتلال على الشعب الفلسطيني نظاما صارما من القيود والحركة، عبر الحواجز المختلفة ونقاط التفتيش، والطرق الالتفافية التي تبنيها لحماية المستوطنين. وزاد من هذه المعاناة بناء الجدار الفاصل الذي أقرت محكمة العدل الدولية في لاهاي بقرارها الاستشاري عدم شرعيته في القانون الدولي، وضرورة إزالته وتعويض الفلسطينيين عن جميع الأضرار التي تسبب بها. أما الشوارع الممنوعة فهي خاصة بالإحتلال العنصري، وبكونها خاصة للمستوطنين اليهود، ويمنع على الفلسطينيين

المرور عليها، على الرغم من أنها تقيد وصولهم إلى الشوارع المجاورة، وتضطرهم في كثير من الأحيان إلى السير مشيا لأخذ مواصلات أخرى من الطرف المقابل، ويصعب رصد هذه الطرقات لأن تحديدها يتم بأوامر شفوية، وبسبب هذه القيود فقد عشرات الآلاف من الفلسطينيين وظائفهم، وألحقت أضرار بالغة بحركة تنقل العمال، وكذلك شحن البضائع، وارتفعت أسعار التنقل بشكل يحد منن إمكانية الربح خاصة على المزروعات (أبو وردة، آخرون، 2011).

لعل الانعكاس الأبرز لممارسات الإحتلال الإسرائيلي بحق الاقتصاد الفلسطيني والعمال الفلسطينيين يتمثل في ارتفاع نسب الفقر والبطالة والاعتماد على المساعدات، وكذلك فإن هذه البطالة لاستمراريتها على مدى السنوات، تصنف ضمن البطالة المزمنة، أي أنها ليست موسمية أو ظرفية أو مؤقتة بل مستمرة باستمرار الإحتلال. إن وجود الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني عاطلين عن العمل، ويتسبب ذلك بلا شك في وجود أزمة اجتماعية ونفسية لدى هؤلاء الأفراد ولعائلاتهم (أبو مدللة، الرضيع، 2015).

تاريخ بداية العمالة في إسرائيل (السياق الاستعماري)

بدأت العمالة الفلسطينية في الداخل المحتل منذ عام 1967، بعد سنة 1993 وخاصة مع توقيع معاهدة أوسلو، إذ أصبح دخولهم إلى دولة الإحتلال مرتبطا بالحصول على "تصريح خاص" أطلق عليه العمال "البطاقة الممغنطة"، كان العامل يعتبر ضمن المحظوظين إذ وافقت دولة الإحتلال بعد فحص أمني مشدد له ولعائلته ولماضيه أن تعطيه هذه البطاقة. ويشترط الحصول على البطاقة ألا يكون العامل قد تعرض لأسر في قضية أمنية نُسبت إليه، وألا

يكون أحد أفراد عائلته قد قضى فترة في الأسر كذلك، وبالطبع ألا يكون العامل منتمياً لأيّ حزب سياسي فلسطيني، ما يعني أن الشروط هي شروط "أمنية" بحتة (قزمار، 2020).

وافقت إسرائيل على دخول عمال الضفة وغزة للعمل في إسرائيل دون تصاريح قبل 50 عاما، بعد أن فرضت لمدة 3 أعوام طوقًا أمنيًا كبيرًا على المناطق المحتلة ولم يخرج أحداً من الضفة وغزة إلى أراضي الداخل سوى قلة نادرة من الأشخاص، واستمر تدفُق العمال للعمل في إسرائيل حتى عام 1993 ومع فرض طوق أمني من نوع جديد، سمحت إسرائيل بدخول العمال وفق الشروط السابقة ذاتها، كما سمحت بدخول ما أُطلق عليها "حالات إنسانية"، وبقي هذا الحال حتى الانتفاضة الثانية، حيث تم تقليص عدد العمال، لكن حاجة إسرائيل لأيدي عاملة رخيصة ساهمت في زيادة عددهم في عام 2002، وفقا لتقارير إسرائيلية، حتى نهاية عام 2017، عمل في إسرائيل 128 ألف عامل (قزمار، 2020).

تاريخ وتأسيس الحركة العمالية النقابية في فلسطين ونضالها

لعبت الحركة العمالية في فلسطين على الرغم من معاناتها دوراً تاريخياً ونضالياً بارزاً، فأولى حركات المقاومة كانت عندما هاجم الفلاحون العرب المطرودون من الخضيرة قراهم التي أجلوا منها رغم إرادتهم سنة 1886. وكانوا من أكثر الناس تعرضا للظلم والتهجير، فطردوا من أراضيهم التي باعها كبار الملاكين إلى الصهاينة، وكانوا أكثر الناس استعداداً للثورة والتضحية، وكانت هذه الطبقات الكادحة من الفلاحين والعمال هي نبض الثورات الفلسطينية التي قامت في تلك الفترة، لقد كانت الشرارة التي فجرت ثورة 1936 هي احتجاج العمال الفلسطينيين على تسليم حكومة الانتداب البريطاني (أبو وردة، وآخرون،2011).

التحديات المبكرة التي واجهها عمال فلسطين دفعت بهم إلى توحيد جهودهم في نقابات وجمعيات منظمة، تمثلت في جمعية العمال العربية الفلسطينية في حيفا عام 1925، التي ركزت على الجانب القانوني بمعنى الدفاع عن حقوق العمال العرب في فلسطين، ضد ثلاث جهات الاستعمار البريطاني والإحتلال الصهيوني والإقطاعيين. وبعد ذلك انعقد في عام 1930 مؤتمر عُمالي عربي ضخم، ومن أهم توصياته الدعوة لتشكيل نقابات عمالية في أنحاء فلسطين كافة للمطالبة في سن قوانين وتشريعات خاصة لحماية العمال، مما أدى إلى زيادة الوعي النقابي بين العمال الفلسطينيين، كما أسهمت ثورة عام 1936 في توحيد الحركة العمالية الفلسطينية، حيث ازداد حجم الطبقة العاملة وتوحدت النقابات في جمعية العمال العربية الفلسطينية حيث عُدت أبرز جسم عمالي فلسطيني، وبعدها سنة 1948 تجزأت فلسطين، مما أثر على الحركة العمالية النقابية؛ فمن تبقى من العمال الفلسطينيين داخل الأراضي التي احتلتها "إسرائيل" عانى من قوانين تعسفية بحق العمال العرب، وأجبر على الانتساب إلى الاتحاد العمالي الإسرائيلي العام (الهستدروت) لينال ترخيصا للعمل، أو على العمل سرا في ظروف استغلالية قاسية (الإتحاد العام لنقابات عمال فلسطين، 2012).

لقد عادت الحركة العمالية الفلسطينية أوائل الستينات، تمهيدا لبداية عمل وطني فلسطيني يجمع تحت سقفه العمال الفلسطينيين في الضفة والقطاع وفي تجمعات اللاجئين. في عام 1964، تأسس الاتحاد العام لعمال فلسطين وانضم إلى منظمة التحرير الفلسطينية، إذ لعب دوراً أساسيا في المسيرة الوطنية التي قادتها المنظمة، وبعدها انحصر نشاطه بعد اتفاقية أوسلو، ومن التجمعات العمالية الحالية الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين على الأراضي

الفلسطينية، الذي تأسس سنة 1992 لغاية اليوم، فهو منظمة عمالية ديمقراطية ومستقلة تعمل من أجل الدفاع عن حقوق العمال وبناء مؤسسة نقابية تساهم في تطوير وتنمية المجتمع المدني الفلسطيني، وتعمل على تعزيز واقع النضال الوطني لإنهاء الإحتلال وبناء دولة فلسطينية مستقلة توفر العيش الكريم والآمن للعمال. يقوم الاتحاد بدعم حقوق العمال الفلسطينيين العاملين لدى مشغلين إسرائيليين، والدفاع عن حقوقهم من جميع الانتهاكات التي يتعرضون لها، ويقدم توعية وتثقيف للعامل من خلال العيادة القانونية عن طريق عقد ورشات عمل ونشرات توعية (أبو وردة، وآخرون، 2011).

المهن التي يعمل بها العمال الفلسطينيين

تعتبر العمالة داخل دولة الإحتلال والمستوطنات صعبة للغاية وتشكل ما نسبته (11.7%)، وذلك لانعدام الحماية الاجتماعية والقانونية الكاملة لتلك الفئة من العمال والعاملات، حيث يعمل غالبيتهم من دون تصاريح عمل رسمية، وفي ظروف تخلو من الأمن والسلامة المهنية، ولا يوجد أية صلاحية قانونية لوزارة العمل لملاحقة المشغلين أو المصانع غير قانونية المُقامة على أراضٍ تخضع للإحتلال (عبد المجيد وأبو غوش، 2017).

حددت إسرائيل عمل الفلسطينيين على مهن محددة كالبناء و المخابز و مصانع الإسمنت (الباطون) والألمنيوم و وشركات التنظيف والزراعة و المطاعم والفنادق بالإضافة إلى الملاحم، وأوضح التقرير أن نسبة العمال الفلسطينيين الذين لاقوا حتفهم خلال عملهم كانت أعلى بكثير من نسبة العمال الإسرائيليين، حتى عام 2015، إذ يعمل (41.1%) من الذكور في دولة الإحتلال والمستوطنات، في حين تعمل (10%) من النساء العاملات في دولة الإحتلال

والمستوطنات، إذ تتركز العمالة للنساء في مجال الزراعة و صيد الأسماك والمطاعم والفنادق لتصل إلى ما نسبته (33.5%) ونشاط الخدمات (40.3%)، أما الرجال تتركز عمالتهم في نشاط البناء والتشييد لتبلغ النسبة (63.4%) وهذه المهن تعد من أهم القطاعات التي ترفع من الوضع الاقتصادي (الأونروا، 2020).

التحولات الطبقية في فلسطين بعد أوسلو

لا بد من تشخيص الواقع الفلسطيني بوصفه حالة استعمارية تقليدية، يجري الصراع فيها ما بين المُستعمِر "الصهاينة" والسكان الأصليين " العرب الفلسطينيون" على الوجود ذاته، إذ أن هذه تعد بنية رأسمالية كولونيالية حسب منطلق مهدي عامل. وعليه من الصعب فهم البنية الطبقية وتحولاتها في الضفة الغربية وقطاع غزة خارج إطار هذه العلاقة الاستعمارية، فقد أدت السياسات الاستعمارية التي خضع لها الفلسطينيون في كل فلسطين المُستعمرة منذ العام 1948، وفلسطين المُستعمِرة منذ العام 1967، أي الضفة الغربية وقطاع غزة، وديناميكيات مقاومتها إلى توليد نظام طبقي خاص يتطلب فهمها الانطلاق من تعايشها التبعي مع الاقتصاد الصهيوني، وضمن إطار التفتت الاجتماعي التي ولدتها ديناميكيات الصراع (لدادوة، 2020).

تشكل التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية الشرط الذي تجري فيه التحولات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة، بما فيه التحولات الطبقية ولا يمكن فهم هذه التحولات دون وضعها في سياقها الاجتماعي التاريخي خاصة بعد أوسلو، يمثل المجتمع الفلسطيني حالة استثنائية بما يحمله من خصائص تميزه عن المجتمعات العربية المجاورة، وهذه الخصوصية ناتجة عن

تشرذمه السكاني والجغرافي الذي سببته النكبة عام 1948، لذا المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة لا يمثل سوى جزء من المجتمع الفلسطيني الأكبر والذي تم تدميره وتشتيت سكانه تاريخيا. كما أن انفصال السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية عن سكان قطاع غزة جغرافيا وسياسيا واجتماعيا، وخضوعهم لنظامين سياسيين مختلفين وهم الأردن ومصر على التوالي، قد ولد اختلافات هامة في الأبنية الاجتماعية والاقتصادية للمنطقتين. واستمرت هذه الحالة بعد أوسلو وفي الوقت ذاته لا يمكن إهمال التفاعل بين هذه المكونات في فهم البناء الطبقي والسياسات الطبقية. ولدت عملية أوسلو ومرافقتها آليات مهمة لإعادة إنتاج الطبقات والنظام الطبقي، من جهة أدى وجود سلطة فلسطينية والتوجه نحو البناء المؤسساتي إلى توسع كبير في شرائح الطبقة الوسطى، ونمو شرائح جديدة من الطبقة العليا، وهذا ولد آليات للتزاوج ما بين الرأسمال الفلسطيني في الشتات، والرأسمال المحلي، وبيروقراطية السلطة المؤقتة. وفي الوقت نفسه ترافقت أوسلو مع الدعم الدولي والرعاية الدولية، بحيث أصبح ما يسمى " المجتمع الدولي والجهات المانحة" ذات أثر فاعل في البناء الطبقي ووجهاته (المالكي، وآخرون، 2018).

لقد تأثرت الشرائح الاجتماعية بعد عام 1967 بالسياسات الإسرائيلية وساهمت الظروف الجديدة في إحداث تغييرات هامة على البنية الطبقية في المجتمع الفلسطيني، وكان للاستعمار الصهيوني وسياساته وقعا متباينا على الشرائح الاجتماعية المختلفة، إذ تعززت قوة بعض الشرائح الاجتماعية، بينما ضعفت أخرى، وولدت الصلات السياسية والاقتصادية في دولة الإحتلال شرائح جديدة كالمقاولين الذين يزودون دولة الإحتلال باليد العاملة، وكبار التجار

والوكلاء الذين يوزعون المنتجات الغذائية ومواد البناء وغيرها من المنتجات " الإسرائيلية" في أسواق الضفة الغربية وقطاع غزة، إذ أطلق على هذه الشريحة " بالأغنياء الجدد". ويتحكم المُستعمِر بتحديد العناصر الأساسية لتلك الشريحة من خلال تقديم التسهيلات ومنحها تراخيص وامتيازات اقتصادية لم تكن ممكنة للآخرين (المالكي، وآخرون، 2018).

توسعت قاعدة الطبقة العاملة المستخدمة في أسواق دولة الإحتلال المكونة من الفلاحين واللاجئين، وأخذ حجم الطبقة العاملة في ازدياد سريع لتشمل شرائح اجتماعية متنوعة. وعلاوة على الفلاحين السابقين وفقراء اللاجئين، جذبت أسواق العمل في دولة الإحتلال أعداداً متزايدة من الحرفيين وصغار التجار والموظفين الذين تراجعت أوضاعهم الاقتصادية، بالإضافة إلى خريجي الجامعات العاطلين عن العمل، وأعداد متزايدة من ربات البيوت والأطفال الذين التحقوا ببعض الأعمال الزراعية الموسمية، لقد عملت هذه الشرائح في دولة الإحتلال ضمن شروط عمل جائرة تحكمها شروط الفصل العنصري المهني، وتقييد إمكانية الحركة، وغياب الحماية القانونية، وتتوسط تلك الشريحتين مجموعات اجتماعية من الطبقة الوسطى والمتمثلة بصغار التجار وأصحاب الكفاءات المتعلمة من الأكاديميين ومن الأطباء والمهندسين والمعلمين المستخدمين في القطاعات الحكومية وغير الحكومية وبعض المؤسسات الأجنبية مثل الأونروا. وكان لهذه الشرائح دوراً مركزياً في تسيير شؤون المجتمع الفلسطيني وفي مواجهة سلطات الإحتلال الإسرائيلي ونفوذه (لدادوة، 2020).

وفَر اتفاق أوسلو البيئة السياسية الملائمة لإعادة صياغة علاقة السيطرة الاستعمارية التي فرضتها دولة الإحتلال على الضفة الغربية وقطاع غزة بما يتلاءم مع التغيير في استراتيجيات

سيطرة الإحتلال، من سيطرة مباشرة إلى سيطرة بالوكالة، ومن تحكم مباشر إلى تحكم عن بعد بالسكان الفلسطينيين مع بقاء السيطرة المباشرة على الأرض والحدود والمياه، وتأتي هذه التغيرات في إطار تعزيز نظام التحكم والسيطرة والرقابة الشاملة والمحكمة التي طوره الإحتلال الإسرائيلي في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ العام 1967. وتدريجيا أصبحت التغييرات في سياسات السيطرة التي اعتمدتها سلطات الإحتلال، إضافة إلى دورها في نهب الأرض والموارد الفلسطينية وتفكيك الحيز المكاني والاجتماعي (المالكي، وآخرون، 2018).

العمال الفلسطينيين في سياق انتشار جائحة الكورونا

وفي ظل الجائحة التي وقعت مؤخرا على العالم، والتي لم يسلم من آثارها أي مجتمع عن غيره، ومع بدايات انتشار الجائحة فإن الإصابات بالفيروس في دولة الإحتلال تفوق أعداد الإصابات بالفيروس في الضفة الغربية، مما يشمل بالتأكيد طبقة عمال الضفة الغربية هذا بدوره خلق أزمة أثرت على هذه الطبقة من مختلف النواحي الحياتية.

ارتفعت وتيرة الاعتداءات العنصرية في بداية الأزمة ضد العمال واعتبارهم يشكلون مصدر تهديد وبائي، إذ طُلب بعدم السماح لهم بدخول دولة الإحتلال وأيضا العودة لبيوتهم. يذكر أن نسبة الإصابات بكورونا في دولة الإحتلال أضعاف الإصابات في الضفة، أي أن العمال هم من يجب أن يشعروا بالتهديد لأنهم ينتقلون يومياً إلى بؤرة وبائية مثل دولة الإحتلال (قزمار، 2020).

أعلنت ما يسمى "وزارة الأمن الإسرائيلية" في آذار الماضي آلية جديدة تخص العمال الفلسطينيين بحيث يقتصر عملهم في القطاعات الحيوية في إسرائيل. وخيرت العامل إما بأن

يترك العمال أعمالهم ويبقون في بيوتهم دون مصدر ثابت للدخل، أو المخاطرة بأنفسهم وصحتهم في ظروف صعبة بعيداً عن عائلاتهم. سمحت إسرائيل للعمال المتزوجين ولديهم أطفال وأعمارهم تقل عن 50 عاماً ويعملون في قطاعات الإنشاءات والزراعة والصناعة للعمل في دولة الإحتلال قبل إغلاق المعابر أمام حركة العمال، وفق شرط التنسيق المسبق مع صاحب العمل لتأمين أماكن المبيت والشروط الصحية الملائمة (قزمار، 2020).

طلب رئيس الحكومة د. محمد اشتيه من جميع العمال في دولة الإحتلال العودة إلى منازلهم، والالتزام بالحجر مدة أسبوعين. وقد رافق هذه الدعوة مطالبات شعبية لمنع توجه العمال إلى سوق العمل بسبب الفيروس، وخيشة نقلهم العدوى إلى المناطق الفلسطينية، تجددت هذه المطالبات بعد الإعلان عن كل إصابة جديدة بين العمال العائدين أو مخالطيهم (قزمار، 2020).

آلاف العمال عادوا من الداخل المحتل، إذ كان يعمل هناك قرابة 75 آلاف عامل، ليهبط هذا العدد إلى 45 آلاف عامل في نيسان الماضي بحسب تصريحات رئيس الحكومة محمد اشتيه علما بان هذه الأرقام تشمل فقط العمال حملة التصاريح، تلقائياً منذ 3/22 / 2020 نتيجة إغلاق المعابر وعدم شمولهم ضمن من سُمح لهم بالدخول، أو نتيجة إغلاق المنشآت التي كانوا يعملون فيها، أو لأنهم اختاروا طوعاً عدم الذهاب. علما بأن هؤلاء العمال هم أصلاً قادمون من فئات سكانية بحاجة إلى الدعم والمساندة وهم في معظمهم إمّا يسكنون في القرى والتجمعات المهددة بالتوسع الاستيطاني، وممن فقدوا أراضيهم الزراعية ومصادر دخلهم الأُخرى، وإمّا من مخيمات اللاجئين المكدسة بالبطالة والمنهكة بالفقر، وبالتالي فقد

قرر العديد من الأفراد العمل في دولة الإحتلال الذين هم ذات التخصصات العلمية المختلفة وبالتحديد العائلات التي تضررت ولم يعد لديها مصدر رزق، هنا نرى اليوم الواقع الفلسطيني مختلف عن السابق ولم يعد يرتبط مفهوم العامل بالشخص غير المتعلم أو غير الحاصل على شهادة بل شمل الكثير من الأفراد المتعلمين الذين كانت لديهم وظائف لكن اضطروا للعمل من أجل أسرهم وأولادهم (قزمار، 2020).

واقع العمال وسياسة الاستغلال

يفضل رأس المال الإسرائيلي العمالة الفلسطينية كونها عمالة مرنة، وفائض عملهم يخدم الرأسمال الإسرائيلي الاستعماري، ونفقات الفلسطينيين ومصاريفهم تعود إلى الاقتصاد الإسرائيلي، ومما لا شك فيه أن دولة الإحتلال من الدول الرأسمالية التي يعتمد إنتاجها على الطبقة العاملة، وهذا ما يجبرهم على بيع قوة عملهم للرأسماليين مقابل الأجر، وإلا سيواجهون الجوع والفقر، إذ يستغل الرأسماليون قوة العمل هذه، ويدفعون للعمال مقابلا فقط لجزء مما ينتجون، أما الباقي فهي أرباح لهم يهدفون لتراكمها عبر الزمن حتى تتحول إلى مبالغ كبيرة من رأس المال. وهكذا فإن الاستغلال ليس مجرد شيء يجري في المصانع المستغلة للعمال، بل هو جوهر الرأسمالية، ونظام قمعي وليس اقتصاديا فقط. إذ تمثل الطبقة العمالية طاقة مهدورة في المجتمع بسبب هشاشة الهياكل النقابية، وغياب الوعي، وارتهانها لشروط المشغل الإسرائيلي وتصاريح العمل، علما بأن هذه الطبقة لا تشارك في الحياة الأسرية والاجتماعية نظرا لأن العمال والعملات يذهبون فجرا لعملهم ولا يعودون إلى منازلهم، إلا في مدخولهم الشهري، الذي يبقي عجلة الاقتصاد الفلسطيني تدور وتتكامل مع دورة الاقتصاد الإسرائيلي،

ورغم الإسهام الاقتصادي للعمال إلا أن العمالة في دولة الإحتلال تشكل هشاشة في المبنى الاجتماعي الأسري الفلسطيني للعمال كونها عرضة لأية أزمات أو تغييرات سياسية أو أمنية أو اقتصادية (سياسة إسرائيل تجاه العمال الفلسطينيين، 2020).

المنظور النفسي لفانون وبيكو حول الاستعمار وعلاقته بالبنية النفسية للمستعمَر

بالنسبة لفانون إذ ركز على دراسة الآثار النفسية للاستعمار، ووصف هنا كيفية بناء التدخل النفسي الصهيوني في "حالة الدولة الواحدة" و"الفضاء العميق" للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. إذ يفترض أن الصمود يعمل كوسيلة نفسية للدفاع ضد هذه الاعتداءات ضمن الحقائق المكانية والمادية والاجتماعية لنظام الإغلاق الإسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة. وعند الحديث عن حالة الاستعمار، كان فانون مدركا تماما للعنف النفسي في قلب الاستعمار والعلاقة بين مكانية الاستعمار وكيف يصب العنف في نفسية وجسد المستعمر. في الواقع يلاحظ أن العالم الاستعماري عالم مقسم بأوصاف المدن الاستعمارية والعواصم والحدود ومراكز الشرطة والمدارس والمستشفيات المنفصلة والمساحات المخصصة لجماعات معينة، دون جماعات أخرى والتي تنذر بالخطر ولا مكان للآخرين بها. لذا التمييز العنصري والاضطهاد هو مجرد شكل واحد من أشكال التقسيم إلى أجزاء من العالم الاستعماري. وأول شيء يتعلمه المواطن الأصلي البقاء في مكانه وعدم تجاوز حدود معينة (فانون، 2004).

واستكمالا لفانون فقد سلط الضوء على مفاهيم مختلفة أهمها "السياسية النفسية" وقصد بها الوعي النقدي للدور الذي تلعبه العوامل السياسية أي علاقات القوة في المجال النفسي، بمعنى فهم كيفية تأثير السياسة على النفسية والمقصود الضرر الحقيقي للقمع الاستعماري السياسي،

وكيف يمكن أن يكون علم النفس الفردي هو المستوى الذي يتم فيه استيعاب السياسة وترسيخها بشكل فردي. أما مصطلح ما بعد الاستعمار فهو توجه نقدي خاص لفهم العلاقة ما بين المُستعَمرين والمُستعِمرين، والآثار النفسية والمادية والثقافة لهذه العلاقات، بالعودة لكتابه "بشرة سوداء أقنعة بيضاء"، يصف فانون التجربة الحية للموضوع الأسود، إذ اعتمد على مصادر مختلفة بما في ذلك التحليل النفسي والنصوص الأدبية، محاولة لوصف التجربة بشكل معمق أي الإحساس العميق في العيش عن طريق الظروف الاجتماعية التي تحدد وقتا ومكانا معينين بطريقة واحدة، ومن هنا يمكن فهم التجربة الحية من خلال فكرة الوعي السياسي، أي الإدراك الجاد لكيفية كون المرء جزءا مهما من العالم وظروفه، وكيف يمكن محاولة تغيير ذلك العالم على أساس المشروع السياسي، بمعنى الوعي بعلاقات القوة والتي تبرز فعليا بجميع جوانب الحياة اليومية، كما و أعطى فانون الأولوية للعرق في تحليله، بأنه الصفة المهيمنة والأساسية المحددة للهوية في السياقات الاستعمارية، وكان لسارتر تأثيرا مذهلاً على كتابات فانون وقال: "الوجود يسبق الجوهر" والمقصود هنا لا ينبغي لأحد أن يربط هوية المرء أو الآخرين بصفات محددة أو بأفكار نمطية، إن تجربة العيش كأقلية عرقية داخل ثقافة مهيمنة وعنصرية، هي أن تعيش تجربة "الجوهر الذي يسبق وجود المرء"، من خلال تجارب فانون للطفل الأبيض، الذي أعاد تاريخ كامل من القوالب النمطية العنصرية والاضطهاد الاستعماري نفسه، هذه التجربة التي تشعر فيها الذات السوداء بأنها محاصرة في كائن ساحق وهو الأبيض، أي على الذات السوداء أن تفهم نفسها بالشروط التي توفرها الثقافة العنصرية والعدائية التي يعيشون فيها، إذن الدليل على سواد هوية المرء موجودة وغير قابلة للتغيير (فانون، 2004).

قصد فانون أن تكون الأقنعة البيضاء للبشرة السوداء بمثابة "أداة تحرير"، إن الهدف من الكتاب هو أن يقدم دورا أساسيا نشطا لعلم النفس الفردي، وهو وسيلة لتوضيح أشكال التعصب العنصري، وبالتالي يجب أولا تدمير الجانب الذاتي للقمع الأسود، إذ أكد بيكو على دور الذاتية القوية والإيجابية كأمر حاسم في خلق شعور بالتضامن بين المضطهدين وفي تمكين الذات من مقاومة الاضطهاد. ودعت رؤية بيكو للوعي الأسود إلى التحرير النفسي والثقافي للعقل الأسود كشرط أساسي للحرية السياسية قال بيكو: "التحرر العقلي كشرط مسبق للتحرر السياسي" لذلك كان الجزء الرئيسي من النضال التحريري لبيكو هو بالضبط المعركة النفسية لعقول السود بمعنى أنه مضطهد من قبل عالم خارجي من خلال مؤسسة ومن خلال قوانين تمنعه من القيام بأشياء معينة، من خلال ظروف العمل الشاقة، وضعف التعليم، هذه كلها خارجية بالنسبة له، وثانيا الرجل الأسود في نفسه طور حالة معينة من الاغتراب. إنه يرفض نفسه، على وجه التحديد لأنه يربط المعنى الأبيض بكل ما هو جيد. في مواجهة مثل هذه الأساليب التي تنكر الذات في التفكير، دعا بيكو إلى التضامن بين السود، مشددا على حاجة الجماعات المضطهدة إلى التماهي مع نفسها وتعزيز النضال التحريري على هذا الأساس. كان التحدي الذي يواجه الوعي الأسود هو عكس سنوات من الصورة الذاتية السلبية واستبدالها بشكل مؤكد وإيجابي، إذا لم يكن السواد هنا مجرد مسألة لون البشرة، ولكنه كان شكلاً من أشكال التضامن، وشكلًا جماعيًا من الأمل والأمن، وطريقة للسود "لبناء إنسانيتهم" الواقع، عرّف بيكو السود بأنهم أولئك الذين يتعرضون للتمييز السياسي والاقتصادي والاجتماعي ضدهم بموجب القانون أو التقاليد كمجموعة في مجتمع جنوب إفريقيا، والذين يعرّفون أنفسهم

كوحدة في النضال من أجل تحقيق تطلعاتهم. الاستراتيجية الرئيسة للوعي الأسود هو الوعي حول ظروف الاضطهاد التي يعانون منها، مع إحداث تصارع مع الواقع ومشاكلهم إذ يدخل الضمير أي الوعي بالظروف القامعة، وبناء فهم نقدي سياسي للواقع الاجتماعي والنفسي، والذي يعد إستراتيجية سياسية للمقاومة يتم من خلالها تطوير وعي متزايد بالظروف السياسية القمعية للوجود، لتطوير ما يمكن أن يسميه المرء وعيا وإدراكا جسديا لمواقفهم، ليكونوا قادرين على تحليله، وتقديم إجابات لأنفسهم. كان الوعي الأسود شكلا إيجابيا للغاية السياسية وهو شكل أكد أن ظروف الاضطهاد ذاتها هي التي غالبا ما تجمع مجموعة من الناس معا وتشجعهم وتنشطهم في مقاومتهم للسلطة (بدر، 2019). استعمل فانون التحليل النفسي لفهم العنصرية لأنها غير عقلانية، وكل ما هو غير عقلاني يحتاج إلى استعمال آليات التحليل النفسي لفهمه واستيعابه، وكون العنصرية تخلق اضطرابات في الشخصية "المُعنصَرة" وتحطم رؤى الشخص عن نفسه. وإنجاز فانون الأكبر هو نقل التحليل النفسي من حيز الدراسة الفردية إلى أن يصبح حقلا لفهم غياب العدالة الاجتماعية، وإحداث قلب للفهم السيكولوجي التقليدي القائم على تعميم حاسم لتجربة الرجل الأبيض، بما في ذلك اضطراباته النفسية وشخصيته. ولهذا جاءت آراء سارتر حول اللاسامية التي صنعت اليهود، أي تلك التي جعلتهم يشعرون بالتمايز، لكي يطبق ما يماثل ذلك في العنصرية تجاه السود. بناء على هذا، تبنى " فانون" فكرة "هيغل" حول جدلية السيد والعبد ليضعها في السياق الاستعماري، ليصل إلى إذا كان الأسياد يريدون من العبيد تلبية حاجاتهم المادية، فإن العبيد لا يريدون سوى أن يصبحوا سادة. من هنا جعل الاستعمار المستَعمرين يتمنون أن يكونوا مستَعمِرين أو مثلهم، وهذا ما خلق في

داخلهم اغترابا راح يتحول إلى احتقار للذات. ركز فانون على اللغة بوصفها تعبيرا عن الممارسة والتفكير العنصريين، اللغة ليست محايدة، بل تفعل الكثير على صعيد رسم معالم الهوية في المجال الاستعماري. على الصعيد الجنسي الذي تمثل في "المرأة المُلوّنة والأبيض" في هذا الجزء الذي تحدث عن امرأة سوداء تريد الزواج من رجل أبيض، بالرغم من إدراكها ووعيها بالنظرة الدونية التي ينظر لها، وهنا يعني بأن الأبيض هو جميل، وأن حصولها كامرأة سوداء على رجل أبيض بأنها أصبحت مثله " أي امتلكت البياض"، بالإضافة للمعاملة الفوقية التي يعاملها الرجل الأبيض للمرأة السوداء. الخلاصة هنا تكمن في فقدان الجذور لدى السود في شمال أمريكا، وفي جزر الأنتيل، فهؤلاء الذين جلبوا بسبب تجارة الرق وفقدوا الانتماء إلى مكان أو جماعة، سيكرهون السود الأفارقة لاحقًا، بسبب عقدة احتقار الذات التي زرعها فيهم الاستعمار (بدر، 2019).

بحسب نظريات فانون السيكاترية والعيادية، لقد أكد فانون بأن ميول السكان الجزائريين إلى العنف والجريمة والاضطهاد هي شكل من أشكال المعاناة الموجودة التي لا التباس فيها، ويرى بأنه من الضروري على الأطباء الشعور بحجم هذا العنف الاستعماري. ولكن بحسب فريري من الضروري خلق التوازن من بين الذاتية والموضوعية، بالإضافة إلى تجنب التسيير الاستعماري خصوصا مع المرضى الذين يحتاجون للعلاج والمقصود به الالتزام ضد كل شيء يمُس كيان الآخر في فضاء اجتماعي أو سياسي مُعطى. بالمقابل طرح فانون في كتابه " معذبو الأرض" مفهوما للشخصية، إذ يصف بأن شخصية المُستَعمر لا يمكن اختزالها في شخصية قابلة للاستغلال أو السيطرة. في هذا السياق يريد فانون إعطاء متانة لصورة الآخر،

ولتمكينه من التحدث والتعبير، وبالتالي تمكين العلاج المؤسساتي على أكمل وجه. ولو أنه عبر عن صعوبة شفاء المُستعمَر في ظل واقع اجتماعي من طبيعة استعمارية (عبد القادر، 2017). الحتمية الاستعمارية أن تفرض قوة متواصلة كفرض العنف والحرب أو الموت المعنوي والمادي، والاستعماري هو العدوانية في أبشع صورها، وبالنسبة لفانون يريد أن يفسر مفهوم العنف في العلاقة العلاجية من خلال العلاقة مع الطبيب التي هي علاقة علاج، أما مع المستعمَر فتكمن "في التجريح والتجهيل والتعذيب والضرب والنفي والقتل" عكس الذي يتعاطى العلاج والتربية والتعليم (Mbembe, 2007).

بالنسبة لفانون لا يمكن فهم الاستعمار من غير التعذيب والاغتصاب والقتل، إن التعذيب نموذج من العلاقات بين المُستعمِر والمستعمَر، بحيث يبدأ بمشهد عمومي مثل قتل الأب أمام أبنائه أو تجريده من اللباس مع أبنائه وبناته وغيرها من الأمثلة، وفي رأي "فانون" التعذيب لا يمكن فصله عن التمييز العنصري، فهما شيئان متلازمان، ويصفه بالوسيلة التي يستخدمها المُستعمِر للحصول على عناصر جديدة في صفوفه، وفي هذا السياق يذكرنا فانون بالميكانيزمات النفسية، لا يجب أن تعطي الواقع المأساوي من فقر واستغلال واضطهاد وتعذيب وآثاره السيكولوجية (نفسية و فسيولوجية واجتماعية) التي يتحملها المواطن، نعم تعددت أنواع التعذيب التي تفنن بها الاستعمار، وهنا يستوقفنا فانون عند أهم هذه الأشكال التي لا تعد ولا تحصى، فهذه الأنواع من التعذيب سواء نفسية أو جسمية فهي مسلطة على الأبرياء أو الذين ارتكبوا فعلا محسوب جرما في نظر المُستعمِرين، عدا عن أن الفساد والقمع لم يمس الأفراد

قط بل تعدى أيضا إلى الثروات وكل ما تملكه الدولة وأصحاب الأرض الشرعيين (عبد القادر، 2017).

بالإضافة لأنه تعدى على ثقافة البلد وقام في تغيير أسماء الشوارع وجميع هذه الأعمال العنيفة بهدف عزلهم أو دمجهم كطبقة من الدرجة الأولى وبهذا الفعل يريد البقاء إلى الأبد، ويريد المُستعمِر إذن التهديم والقطع وزرع الخوف والغضب، ثم يريد علاج ما تم جرحه أو تكسيره لإشعارهم بالدونية والنقص، وفي هذا الصدد طرح "فانون" أهم الحالات المرضية التي خلفها هذا النوع من الإحتلال كالاكتئاب والقلق بالإضافة للاضطهاد (عبد القادر، 2017).

بالنسبة للمواطن الفلسطيني تحولت الحدود بعد أوسلو، مما أدى إلى نهاية رفض المشاركة، من "حياة المقاومة" إلى "حياة التفاوض" لاحظت ميعاري أن هذا التحول صاحب "مأسسة" للسلطة الفلسطينية، وإضفاء الطابع المؤسسي على المجتمع الفلسطيني كمنظمات غير حكومية، وانتشار خطابات حقوق الإنسان، والليبرالية الجديدة للاقتصاد، مما يشير إلى تحول من إعادة تنظيم الذات نحو النضال ضد الآخر المُستعمر لإصلاح الذات الفلسطينية الملتزمة الآن بقوانين الدولة ومؤسساتها، في الوقت نفسه حلت "حياة التفاوض" محل المقاومة النشطة، بينما كثفت الحكومة الإسرائيلية قبضتها بشكل كبير وزادت من استعمارها للأراضي المحتلة (ميعاري، 2014).

ومن هنا التفاوض الذي يخلق حالة معينة تجعل أفعال الرفض أفعالا أساسية للحفاظ على الذات نفسية وسياسية واجتماعية. إذ ركزت جقمان وهلال وآخرون بشكل مكثف على الآثار النفسية الناتجة عن الإحتلال من عنف نفسي مستمر ومتعمد من خلال الاعتراف المتبادل

والحوار ضمن حملات "إدارة السلام والصراع" كوسيلة أخرى لتوسيع نظام الإغلاق الإسرائيلي، لمبادرات الحوار تاريخ طويل في احتلال فلسطين. أظهرت مجموعة من الدراسات الدقيقة كيف أن التفاعل بين المستوطنين اليهود الأوروبيين والفلسطينيين لم يكن نادرا كما قد يتخيله المرء، ومع ذلك فإن التعاون كشرط اجتماعي يختلف عن "مبادرات الحوار" التي كانت موجودة منذ وصول الصهاينة إلى فلسطين. يعد وسيلة للتطبيع منذ الانتفاضة الثانية اكتسب عدد من مجموعات الحوار شعبية، خاصة مع الناشطين والمانحين الدوليين. يتم ترتيب بعض هذه المبادرات بشكل خاص حول إطار عمل للصحة العقلية والشفاء النفسي، وبالتحديد منتدى عائلة دائرة الآباء، ومقاتلون من أجل السلام والبحث عن أرضية مشتركة من أجل التفكير في المطالب النفسية الملقاة على عاتق الفلسطينيين من خلال مبادرات الحوار (هلال، 2013).

وما تقوده مبادرات الحوار يتمثل في إنهم يهاجمون وسيلتين يستخدمهما الفلسطينيون للنضال ضد عنف الإحتلال، وهما التضامن المجتمعي وسياسة الرفض. توصم بنيامين المحللة النفسية المجتمع الفلسطيني بأنه " شوفيني" أي الشعور بالعدوانية أو إظهار حب الوطن العدواني أو المبالغ فيه. ويدعو إلى استبداله بـ "مجموعات اجتماعية جديدة". وهذا يتجاهل أبحاث الصحة العامة من قبل أولئك مثل جقمان التي توضح كيف تعمل الروابط المجتمعية كخط أمامي ضد الاعتداءات النفسية الهيكلية للاحتلال. ثانيا الرفضية أو سياسة الرفض التي تمنع التدخلات الاستعمارية لأنها ترفض "التطبيع" والحوار الذي من شأنه أن يسهل عملية الاستخراج ويوفر الرفض مساحة فشلت إسرائيل في السيطرة عليها واحتلالها. على وجه التحديد، فإن الدعوة إلى المشاركة في إنشاء "مساحة ثالثة" هي تقويض لممارسات المقاومة الفلسطينية، المعروفة باسم

الصمود (معياري، 2014). تلاحظ حمامي في الحياة اليومية، عادة الأيديولوجية القومية القديمة للصمود إلى الظهور وتحمل معنى جديدا. بينما في السبعينيات من القرن الماضي، أكد معناها البقاء على الأرض ورفض المغادرة على الرغم من مصاعب الإحتلال، لكن حديثا أصبح يتعلق الأمر بمواصلة الحياة اليومية والحركة، وهكذا أصبح الصمود يدور حول مقاومة الجمود وانغلاق المجتمع ورفض استحالة الوصول إلى المدرسة أو الوظيفة. في مجتمع تحت الحصار حيث "نقاط التفتيش لا تعيق التنقل فقط" ولكن "تخلق فوضى هائلة"، لا سيما في الدوائر الاجتماعية والاقتصادية للحياة اليومية، يوفر الصمود الإطار الذي يجب إتباعه في المفهوم الجماعي، ولكن المقاومة اليومية المحققة بشكل فردي للوصول إلى هناك ببساطة (حمامي، 2005).

تؤكد ميعاري أن دولة إسرائيل الجسدية تعتزم اقتحام الفضاء النفسي الفلسطيني، وانتزاع "الاعترافات"، وجعل الفلسطينيين مذنبيين لمقاومتهم للاحتلال. وجدت في دراستها عن الفلسطينيين المسجونين والمعذبين أن تخيل المرء للمنزل والأسرة والحب والريف والقرية والنفس كمثل فلسطيني بطولي أثناء العمل في دول الإحتلال أو التعذيب والحبس الانفرادي والعمليات النفسية هي أعمال صمود تحدي الإحتلال (وكسر) النفس الفلسطينية. تنقب المحامية الأمريكية نانسي هولاندر عن أنماط مماثلة للمقاومة تحت التعذيب، معترفة بأن إرهاب الدولة يهدف بوضوح إلى هدم الجهاز النفسي. فالصمود هي ممارسة سياسية واجتماعية ونفسية تحمي من هذا الهدم. إنه يزعزع استقرار النظام الاستعماري وعلاقات القوة فيه. يشكّل هذا الصمود شخصية فلسطينية سياسية ذات تأثير نفسي علائقي. الصمود قوة لا يمكن تحديدها وتمثل

إمكانية الممارسة السياسية خارج فضاء الأشكال الطبيعية للسياسة. في ظل ظروف القهر، يصبح الأمر ثوريًا مستمرا، يفتح إمكانية لنظام بديل للوجود، وعلاقة ذاتية أخلاقية ومع ما هو فعال في السياسة والتطبيق العملي للرفض، فإن وجهة نظر ميعاري هي واحدة من التعريف النفسي كوسيلة للبقاء والتمكين والتطبيق السياسي (ميعاري، 2014).

في هذا الصدد، تعرف ميعاري بصرامة البطولة حيث يقترب الفلسطينيون من وحدانية المعاناة والبطولة ويلمحون إلى التعبير عن نمط الوجود الجماعي الفردي. "المعاناة من البطولة تعكس الشعور الذي يغرسه المناضلون الفلسطينيون. تختلف هذه المشاعر عن الثنائية الإنسانية الليبرالية الراسخة المتمثلة في الضحية مقابل الوكيل بعبارة أخرى، الصمود هو "دفاع تكيفي" واعٍ وغير واع، لدرء الهجمات المستهدفة على الأنا الفلسطينية المثالية، إنه تطبيق اجتماعي وجماعي لـ "المقاومة ضد سياسات المحو التي تمارسها إسرائيل" (ميعاري، 2014، ص547 ص578).

إن الاعتراف بعنف "التطبيع" كما تم سَنّه من خلال مبادرات الحوار ليس وظيفة لموقف الفصام الإكلينيكي المصاب بجنون العظمة، ولا تعبيرًا عن تعريف فرويد للبارانويا، والذي يدمج المحظورات الاجتماعية في نموذج الأنا عندما تظل الهياكل السياسية والاقتصادية والنفسية للقمع سليمة في نفس الوقت الذي يُطلب فيه من الأنا التخلي عن الدفاعات التي تحافظ على "التوازن" النفسي و"مبادرات الحوار" تلاحظ سماح جبر أنه يُطلب من الفلسطينيين قبول الانتهاك الإسرائيلي لحياتنا والتصالح معه ومباركته. احتلال وطننا لا يعني في حد ذاته أننا لسنا أحرارا ونرفض الإحتلال في أذهاننا بقدر ما نستطيع مواجهته، ولكن إذا اعترفنا بإسرائيل، فإننا

مشغولون عقليا وهذا لا يتوافق مع رفاهيتنا كأفراد وجماعة. مقاومة الإحتلال والتضامن الوطني مهمان جدا لصحة النفسية لشعبنا إذ يمكن أن تكون ممارستهم تمرينًا وقائيًا ضد الاكتئاب واليأس (هلال، 2013).

أهمية علم النفس المجتمعي التحرري في حياة المهمشين

تطور علم النفس المجتمعي في أمريكا اللاتينية كرد فعل على عدة أمور تتمثل في كونه تطور عن علم النفس الاجتماعي الذي يقوم على فكرة كونه علماً نظرياً يدرس ظواهر اجتماعية قابلة للتطبيق في كل مناطق العالم بمعزل عن احتياجات الفئات إضافة لأنه تطور في المختبر وأخذ نهج العلوم الطبيعية، فجاء علم النفس المجتمعي منتقدا للمنهجية المتبعة فيه، الأمر الذي أدى إلى نقص في التركيز على المشاكل الاجتماعية. ومن هنا جاء علم النفس المجتمعي لمعالجة القضايا المرتبطة بالفقر والتهميش والاضطهاد (Burton & Kagan, 2003).

وكون الدراسة تتحدث عن العمال والعاملات الفلسطينيين، وهي فئة مضطهدة ومهمشة، لذا من المهم التطرق إلى علم النفس المجتمعي التحرري، حيث أنه قبل كل شيء منهجاً موجهاً نحو التغيير المجتمعي حيث إن طابعه سياسياً بشكل واضح، ويهدف إلى تنمية وتمكين المجتمع، والمساعدة في بناء مساحة متاحة لجميع الفئات بما فيهم الصامتين أي "غير قادرين على إظهار صوتهم" والمستبعدين نتيجة لهيمنة السلطات الحكومية أو من هم في مواقع السلطة والنفوذ (Hook, 2004).

تأثر علم النفس المجتمعي التحرري بشكل خاص في المعلم البرازيلي فريري والذي جاء في الفكرة المركزية المتمثلة في فكرة تعليم المضطهدين والذي لا بد وأن يكون ذي طابع تحرري

ويحتاج لصيرورة تقوم على فعالية المتعلم وإدراكه ودراسته للواقع بشكل نقدي وحواري مع الآخرين، الأمر الذي يؤدي لمروره في عملية توعية نقدية مستمرة حول إشكاليات الواقع بتعليم تحرري يركز على (Praxis)، بمعنى أن النظرية لوحدها أو الممارسة لوحدها غير فاعلة في دراسة القضايا الاجتماعية التي يفرزها السياق الاجتماعي، إنما تكون آلية العمل بتجنيد النظرية للواقع واستخدامها في تطوير النظرية بناءً على الممارسة، بحيث يكون مضمون التعلم قائما على فكرة تناوله لقضايا من حياة الأفراد والتي تحمل سمات الاضطهاد مثل الإحتلال والتهميش و الإقصاء وغيرها بحيث يكون هناك ربط ما بين النظرية والواقع المعاش (Orford, 2008).
واستكمالا لذلك فقد جاء مارتن باروا بأهمية تجربته في السلفادور والذي لعب دوراً مهما بأن يكون قادراً على مقاربة واقع الشعب السلفادوري، وقد كرس عمله لمعالجة المشكلات الاجتماعية التي يعاني منها هذا الشعب، حيث اعتبرهم نموذجا لأمريكا اللاتينية، وخاصة الفلاحين منهم، إذ كان بارو مهتماً ومعنياً في فهم ودراسة كل ما يتعلق في هذا الشعب في الثمانينات أكثر الفترات صعوبة وسوداوية في السلفادور بشكل خاص، سيحقق بارو من خلال هذا الفعل بالذات مساهمة مهمة في المعرفة البشرية، في خضم الهجمات المستمرة للحكومة السلفادورية، بالإضافة لتحقيق تطبيق عملي يتوافق مع مثله العليا، من خلال انغماسه في قضايا الشعب السلفادوري الذي أتاح لهم فرصة لفهم الأبعاد النفسية للقمع السياسي وتمثلت في العنف بمختلف أنواعه والإقصاء السياسي والاستغلال الاقتصادي والجنسي و السيطرة على الثقافة، بما في ذلك تقييد استخدام لغات السكان الأصليين أو طرق تمثيل تاريخ الشعب (بارو، 1994).

انتقد مارتن بارو مذهب المتعة، كجزء من الطبيعة البشرية والدافع المركزي للسلوك البشري مبينا ارتباطه بالمنظومة الرأسمالية التي تدفع الإنسان للسعي وراء الربح الدائم كأنه طور افتراضات خاطئة عن الطبيعة، أما الرؤية التماثلية هي الحالة النفسية الصحية عندما يكون الإنسان متواجدا في عملية توازن سواء داخلي أو خارجي، وأن يكون خاليا من أي صراعات أو تناقضات. يقول مارتن بارو:" إذا أردنا فهم ما الذي يمكن أن يحرك الثورة ضد بنية اجتماعية معينة هذه الثورات بالضرورة سوف تتوافق بداخلها شعور من التناقضات النفسية التي هي جزء من التناقضات المجتمعية"، وهذا الشعور من عدم وجود التوازن هو الدافع الذي يمكن أن يرفع الإنسان للقيام بعمل ثوري من أجل الوصول للتغيير في البنية الخارجية، وعدم تأريخ علم النفس يقودنا إلى الكونية السائدة باعتبار الطبيعة البشرية عالمية، للاعتقاد بأنه لا يوجد فروق جوهرية بين إنسان وآخر، وديناميكية سمات الإنسان لا تتغير وموجودة في كل مكان، فإننا نقبل مقياس ماسلو للاحتياجات كتدرج هرمي عالمي. كعلماء نفس بحاجة لمراجعة جميع الافتراضات في الفكر النفسي السيكولوجي، التي يجب التفكير بها من الأسفل، بمعنى هذه الممارسة يجب أن تكون عبر الانخراط بقضايا الناس والتي من خلالها نصل لفهم جديد حول البشر والمجتمع (بارو، 1994).

انشغل علم النفس في أمريكا اللاتينية بمعضلات لا علاقة لها بالسياق التاريخي العيني لشعوب أميركا اللاتينية. إن تطوير المجتمع يرتبط في تطوير الأدوات النظرية والعلمية لعلم النفس الذي بدوره يساهم في تحرر الشعوب، وإنشاء علم نفس تحرري، وعليه استند مارتن بارو حول علم النفس التحرري إلى لاهوت التحرير وهو افتراض أن المظلوم يجب أن يحرر نفسه أولاً

ويكون منفتحًا على النقد وأن يدمج النظرية والمعرفة الموسعة، كما فعل بارو في اقتراحه لبناء علم النفس التحرري، أن المنهجية التشاركية بدورها يجب أن تكون جزءًا من ثقافة بديلة ومحررة قائمة على افتراضات الالتزام بالعدالة الاجتماعية الموجودة في لاهوت التحرر (دومينغيز،2009).

إن نظرية الهوية الاجتماعية تركز على الفرد في السياق الاجتماعي ومن هذا المنطلق سعى علماء النفس الأوروبيين مؤسسي مدرسة الهوية الاجتماعية إلى تحقيق منحى مختلف بالتركيز على الفرد داخل إطار المجموعة الكبيرة، حيث يشكل السياق "الكل" أهمية كبيرة في سلوك الفرد الذي يعد جزءاً من هذا الكل. وبالتالي تتشكل الهوية نفسياً واجتماعياً وتتمايز عبر عمليات التربية والتشكيل والتطبيع الفردي والاجتماعي، كما تدخل عوامل ذاتية داخلية وخارجية كثيرة في عمليات التشكل والتشكيل وفق قوانين تتحدد من خلال الدور والوظيفة. والهدف من نمو الهوية ورعايتها وتنميتها وتحصينها، يتمثل في تحقيق حالة من الوعي، يشعر فيها الفرد بذاته وتفرده وتميزه في مقابل الآخر أيا كان. وهذا الوعي بالتفرد هو الذي يعطي الفرد القدرة على الاستمرار في العطاء وتنمية الانتماء المجتمعي والوطني والإنساني الذي يقود لحالة من الشعور بالأمن والمشاركة وتوفير جو للعطاء (Hogg, 2016).

يرى Asch بأن سلوك الجماعة يحدث عندما يمتلك الفرد التمثيلات التي تشمل سلوكيات الآخرين وعلاقاتهم، بحيث تتجمع السلوكيات الشخصية وتكمل بعضها البعض عندما يمثل الموقف المشترك في كل منها، وعندما تكون التمثيلات متشابهة البناء، فهذه السلوكيات تخرج حقائق الجماعة للوجود، وتحدث ظاهرة ثبات وتماسك في عمليات الجماعة. كما لفت Asch

الانتباه إلى كون العلاقة بين الفرد والجماعة في الأصل هي علاقة جزء بكل، حيث يجب على الفرد تمثيل علاقات الجماعة داخل عقله حتى يكون قادر على سلك سلوك العضو في الجماعة (Hogg & Abrams, 2000).

ما ذكر أعلاه، يشكل نقطة وصل مع التوجه الذي جاء به علم النفس التحرري في أمريكا اللاتينية، من ناحية التركيز على ما يجري داخل الفرد بسياق وجوده في جماعة ينتمي إليها ويحقق تطلعاتها بعضويته فيها، من خلال استدخاله لمصلحة المجموعة وبدء العمل على تخطي حالة الاضطهاد والتمييز التي يمكن للمجموعة الداخلية التي ينتمي لها أن تتعرض له من قبل الجماعات الأخرى، وذلك بإدراكه للأسباب التي تؤدي لاضطهاده، بأنها أسباب ناجمة عن كونه عضوا في هذه المجموعة ويمثل قيمها وأهدافها وليس لكونه فرداً مستقلاً. هذا الأمر من شأنه العمل على مساعدته لاستعادة السيطرة على مجرى حياته، ليعمل على تحدي حالة الاضطهاد هذه التي يتعرض لها لكونه عضواً في المجموعة (Hogg, 2016). هنا أرى وأتفق مع ما يذهب إليه (Asch)، في كون هذه العلاقة التبادلية هي الحالة الطبيعية والإيجابية التي تخلق حالة الشعور بالانتماء للمجموعة، لكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن انغماس الذوات الفردية في إطار غير إطارها ولمصلحة الانتماء، قد يؤدي لنوع من الاستيلاب ينمو في علاقة مفترضة، حيث نرى وعي الجماعة بوصفه (كل) في الفرد. الأمر الذي قد يؤدي لمصادرة ما في ذلك الفرد أو ذلك (الجزء)، كما أن من شأن التمثل المبالغ فيه للجماعة هنا أن نأخذ مسار يفقد معه الأفراد فرديتهم وخصوصيتهم (Brewer, 1991).

إن الواقع السياسي للاحتلال، يضفي نوعا من التعامل الخاص ما بين الفرد والبيئة التي يوجد في إطارها، فالأداء الوظيفي النفسي للفرد يعتمد على الأحداث البيئية بدرجة كبيرة والفرد النشط يبحث باستمرار عن معلومات في بيئته وفحص هذه المعلومات للعمل على إحداث تأثير في بيئته. وعلى أساس من ذلك، يعمل على تعديل استراتيجياته في التعامل للتفاعل مع بيئته (بوناماكي، 1988). ولعل إدراك الفلسطيني لماهية هذه الهوية، قد يكون عاملا في تحقيق حالة من التوافق النفسي والجلد في أعقاب تعرضه المستمر لأشكال مختلفة من العدوان العسكري الإسرائيلي الذي يضرب مقومات الصحة والمناعة النفسية لديه. الواقع الفلسطيني والذي توالت عليه احتلالات متعددة من وصاية وانتداب واحتلال، لا يزال أفراده يعيشون تبعيات الحرب منذ بداية الاستيطان حتى اللحظة وما يمارس ضدهم من اجتياحات واغتيالات واعتقالات.

ويرى زيد (2007)، بأن السياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، يحتوي الكثير من المشاعر والعواطف والأحاسيس، التي تتراكم يوما بعد الآخر، وسرعان ما يتعلم كيف يخفف من آلامه، وكيف يتغلب على المصاعب والعقبات التي تواجه الحياة، ويدرك في الوقت نفسه ما يشعره بالراحة النفسية، التي تتبلور من خلال هذه الأحداث صورة واضحة للفرد عن ذاته تدريجيا، وتتضح ملامحها للآخرين بازدياد الخبرات اليومية لتظهر أمام الفرد نفسه، وبذلك يتشكل عند الفرد مفهومه حول ذاته. إذن، السياق يعلم الأفراد كيف يخففون مما يعترضهم من أزمات وتحديات ومعيقات، فقد نجد أفراداً اختاروا التعامل بهزل مع ما يعترضهم من صعاب. متبعين بذلك نهج الفيلسوف الفرنسي "برجسون"، الذي يحث الأفراد على التعامل مع المآسي بقدر من

اللامبالاة لتتحول المآسي إلى كوميديا، وبذلك يخففون من وطأة وثقل ما يواجههم من صعاب. وهذا ما رأيناه ونراه في الكثير من المشاهدة سواء الأب السوري الذي علم ابنته الصغيرة الضحك لمجرد سماع دوي انفجار بفعل القذائف أو الصواريخ المتهالة عليهم، للتخفيف من هلعها وخوفها. بالإضافة لذلك بعض الأفراد ينتهجون طرفاً وأساليباً أخرى، بما يناسب تشكلاتهم ورئيتهم الذاتية المنبثقة من سياقهم. ومن هذا المنطلق نستطيع الربط ما بين الانتماء للهوية العرقية "الوطنية" أو "الاجتماعية" ومفهوم "حسن الحال" (Well–being)، فحسن الحال لأي فرد من أفراد الجماعة يعتمد بصورة كبيرة على علاقاته الاجتماعية وعلى المجتمع الذي يقيم به، ويمكن تعريف هذا المفهوم بكونه الحالة الإيجابية التي يتم فيها تلبية الاحتياجات والتطلعات الشخصية والعلائقية والجماعية للأفراد والمجتمعات. فإن تقرير المصير، والشعور بالسيطرة، والكفاءة الذاتية، والحالة البدنية والعقلية، والتفاؤل والروحانية، هي مؤشرات وعلامات شخصية تشير إلى تمتع الفرد بالحالة المذكورة أعلاه "حسن الحال"، ومؤشرات حسن الحال العلائقية المتمثلة ما بين الفرد ومحيطه الاجتماعي من علاقات اجتماعية تتمثل بوجود الرعاية والمودة والدعم والتعاون والمشاركة في صنع القرار. وبالعودة للصحية النفسية حالة شفاء عاطفية وروحية وبيئية مرتبطة في البلد أو المكان، بالإضافة للجسدية والاجتماعية التي تتضمن ثقافة المجتمع، وتشمل كل العوامل العاطفية وتتداخل مع بعضها البعض بطرق معقدة (بليردوح، 2021). عندما يكون لدى الفرد والجماعات المضطهدة حصانة ودعم اجتماعي ومجتمعي، هذا يزيد من تمكين الفرد ليصبح لديه جلد وصمود، وهنا يمكن أن يمثل الجَّلد (Resilience) البداية الأساسية لإعادة التأهيل والخروج من الخبرات المؤلمة والتجارب الصعبة والأزمات،

على الرغم من المخاطر الحياتية، إلا أنها تستمر ويجب أن نتعامل معها كأفراد، ولكن بالطبع هناك مشكلات غير محدودة، منها ما يمكن تفسيره وحله بشكل علمي أو طبي، ومنها ما يحتاج إلى علاج نفسي(Friedli, 2009). عند التعامل مع مجتمع معين، لا بد من الإشارة إلى الأفراد المكونين لهذا المجتمع. وعند تعريفنا للجَّلد فهو يتدرج من الجَّلد الفردي وصولا للجَّلد الجماعي أو المجتمعي، فالجَّلد الفردي هو المفهوم الذي ينطوي على عملية ديناميكية للتكيف الإيجابي للفرد في المحن الكبيرة والشدائد (Powley, 2009).

علم النفس يهتم بدراسة قدرة الفرد على الجَّلد، أي دراسة خصائص الفرد والبيئة والتفاعل بين الاثنين، مما قد يصنف بعض الأفراد على أنهم مهمشين، في حين أن آخرين محميون. قد يولد بعض الأفراد في ظروف صعبة أو استثنائية، بالتواجد في بيئة فقيرة، أو بيئة تسودها مشكلة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، إذ تعد مثل هذه الظروف خطرة على تطور الفرد من جوانب مختلفة كالعمال مثلا حيث يحاولون أن يشكلون حصانة ضد الآليات التي يتبعها الإحتلال الصهيوني ضدهم (Connor, 2006).

كما يعد الجّلد عنصراً حاسماً في تحديد طريقة ردة فعل الفرد في تعامله مع الضغوطات. وهناك مجموعة واسعة من السمات المرتبطة بجلد الفرد، وهذه السمات مرتبطة بشكل مباشر بجوانب القوة وبإيجابية الحالة النفسية والعقلية للفرد. حيث إن الأفراد الذين يتمتعون بالجّلد، يمكن وصفهم بأنهم يؤمنون بوجود ما يقويهم ويدعمهم حتى خلال مواجهتهم للمشكلات. وإن هؤلاء الأشخاص هم أكثر قدرة على مواجهة التغيير والتكيف معه، كما أنهم يتعاملون مع نجاحاتهم الماضية لتعزيز مواجهتهم للتحديات الحالية والمستقبلية (Connor, 2006).

من التعريفات الأخرى للجّلد الفردي هو فرصة التعبير عن المشاعر من أجل الوصول للتوازن النفسي والاجتماعي، ويتأثر الجّلد أيضا بحالة عائلة الفرد أو مجتمعه أو حتى ثقافته المحيطة، والتي تساعده على توفير الطرق والموارد الصحية والخبرات المفيدة. ومن العوامل المؤثرة في قدرة الفرد على الجّلد مأخوذة من تأثيرات متباينة لحياة الفرد في الطفولة وتكون تبعاً للسياق والثقافة التي يتحقق فيها الجّلد (Unger, 2008).

أما الجلد الجماعي (Collective Resilience) أو المجتمعي (Community)، فهما مصطلحان متشابهان من حيث الاهتمام بالمجموعة على المستوى الجماعي، حيث يعبر كل منهما عن نتاج من التفاعلات الاجتماعية التي تعمل على تمكين التكيف الإيجابي لضمان استمرار العلاقات. وبالحديث عن الجلد الجماعي يمكن تعريفه بأنه التكيّف الإيجابي للمجتمع على الرغم من وجود الصعاب أو المحن. وعادة يتطور حسب الظروف، مثل الكفاءة والنمو والفعالية، التي تزيد من احتمالية التكيف والتعديل الإيجابي (Bottrell, 2009).

إن التحول من حالة عدم الاستقرار إلى مجتمعات فيها جلد جماعي مجتمعي يمكن وصفه بأنه صعب البناء، ويتم هذا التغيير لبناء جلد مجتمعي عن طريق وضع هدف مشترك، والذي يمكن أن يوحد الأفراد على اختلافاتهم واهتماماتهم الاجتماعية والسياسية المختلفة، ذلك من خلال مجموعة واسعة من القيم، والتي تتضمن المسؤولية المدنية والمساواة والتوافق النفسي الاجتماعي. وإن الحاجة إلى هذا النوع من التدخل على المستوى المجتمعي هو المسؤول عن التمكين وإقامة نظام اقتصادي وشبكات اجتماعية جديدة (Bottrell, 2009).

وأما المقاومة فهي ردة فعل الضعفاء الهادئة وذلك عن قصد لأنها تعد خياراً ينبع من وعي حذر لتوازن القوى، يشترط (سكوت، 1995) بأن تكون الأفعال مقصودة وواعية إذا أردنا تسميتها بالمقاومة. وبالتالي تعد مقاومة لأنظمة السيطرة التي تحيطه في عقله قبل أن يمارس نشاطاته؛ فالمقاوم يدرك ويعي ويقصد أنه يقاوم منذ البداية، ومعارضة الضعيف للواقع الذي يعيش فيه، وبسبب تلك المعارضة يفعل أفعالا لتغيير ذلك الواقع وهو ما يصلنا لآلية التكيّف ونعني بها التعامل مع الظروف المحيطة كما هي من أجل البقاء (سكوت، 1995).

نشأة علم النفس المجتمعي التحرري داخل الحالة الاستعمارية الفلسطينية

لقد نشأ علم النفس المجتمعي التحرري من تاريخ وصيرورة النضال الفلسطيني، كانت الممارسات المجتمعية الشعبية من القاعدة إلى أعلى كأنها أسست لعلم نفس مجتمعي الذي انتقل فيما بعد إلى البُعد الأكاديمي. ينتشر الفلسطينيون في مختلف السياقات الاجتماعية والسياسية، مجموعة منهم يعيشون في وطنهم الأم والذي تم احتلال أرضهم وهم "سكان 1984" وهم من حملة الجنسية الإسرائيلية، والمجموعة الأخرى تعيش في الضفة وقطاع غزة وتخضع للاحتلال العسكري منذ عام 1967، أما البقية فهم اللاجئون. الشعب الفلسطيني كمجتمع غير مترابط وموحد ومتماسك في مجال سياسي جغرافي محدد وكجزء من الشرط الاستعماري. وهنا تم التركيز على الفلسطينيين في الضفة الغربية والقطاع الذي أقيمت فيه الجامعات الفلسطينية تحت الحكم الاستعماري الإسرائيلي، التي تشمل الممارسات الاستعمارية الإسرائيلية في الضفة الغربية المحتلة منذ عام 1967 بالإضافة لاستغلال العمال وتجزئة الأراضي الفلسطينية والأنشطة الاستيطانية والهيمنة على التعليم الفلسطيني، وتقييد حركة الناس، والمضايقة

السياسية المستمرة بالإضافة للتدخل العسكري، مما أصبحت حياة السكان الأصليين لا تطاق. وخلال العقدين الأولين من الإحتلال الاستعماري الإسرائيلي (1967-1987)، تمكن الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة من إنشاء شبكة غير عادية من المنظمات المجتمعية الشعبية، بما في ذلك الاتحادات الطلابية ولجان العمل النسائية والنقابات العمالية والمنظمات التطوعية للشباب، بالإضافة لمجموعة واسعة من المنظمات المهنية. هذا التنظيم المجتمعي الذي بدأ من الأسفل إلى أعلى القاعدة واصله نشطاء المجتمع الذين كانوا مرتبطين أيديولوجياً وسياسياً بحركة التحرير الوطنية الفلسطينية في المنفى، وعندما اندلعت الانتفاضة في عام 1987، كان هذا التماسك المجتمعي والحركة الشعبية المنظمة تنظيماً جيداً بدورها حافظت على النضال وأكّدت قدرة المجتمع على الصمود، والتعليم الشعبي خلال الانتفاضة الفلسطينية الأولى وضمن سياق فترات الإغلاق المطولة للمدارس والجامعات لعب دورا أساسيا حيث شكل المعلمون والطلاب الفلسطينيون في الضفة الغربية وغزة قوة ديناميكية في تنظيم الأنشطة التعليمية المجتمعية (مكاوي، 2017).

شكل توقيع اتفاقية "أوسلو" السياسية بين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة إسرائيل في عام 1993 نقطة تحول مقيدة في تطور الحركة الوطنية الفلسطينية والمنظمات الشعبية. بعد اتفاقية "أوسلو"، قدمت مساعدات التنمية الخارجية من الدول الرأسمالية الغربية متطلبات التمويل والتنمية التي دعمت ظهور وانتشار شبكة واسعة من المنظمات غير الحكومية، وهذا بدوره أدى إلى اختفاء المنظمات التطوعية الشعبية وتقلصت مساحة تطوير البنى التحتية الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بها بسبب المنظمات غير الحكومية الممولة الجديدة التي انتشرت في

جميع أنحاء المجتمع، وتقدم هذه المنظمات أو المؤسسات خدمات متداخلة ومتفرقة وذلك بحسب توفر التمويل الخارجي. والذي يكون عادةً مشروطا بالوضع السياسي في الأراضي المحتلة. يعمل موظفو هذه المنظمات غير الحكومية للصحة النفسية وإداريوها في حلقة مفرغة تسير في كتابة مقترحات لتمويل المشروع وتلقي الأموال وتنفيذ مشروع ممول وكتابة تقرير إلى الممول والانتقال إلى كتابة الاقتراح التالي. هذه المشاريع متفرقة ومتداخلة ولا علاقة لها بأي خطة استراتيجية أو حركة محددة بوضوح لتعزيز الصحة النفسية المجتمعية بين المجتمعات المضطهدة، علما بأنها تدير مراكز داخل المجتمع إلا أن إطار تدخلها فردي بطبيعته وهم في الغالب يطبقون مناهج فردية للإرشاد والعلاج النفسي. وهدفها هو اختراق النسيج الاجتماعي للمجتمع المستعمر ونزع الطابع السياسي والمقاطعة من المشاركة من أجل تقرير المصير والحفاظ على التبعية الاقتصادية كوسيلة لضمان الاعتماد الأكاديمي بين المفكرين الفلسطينيين (مكاوي، 2015). أما فيما يتعلق بالممارسات السياسية في السياق الفلسطيني، بعد أوسلو وبالتحديد بعد الانتفاضة الثانية فإن القمع المستمر من قبل قوات الإحتلال الإسرائيلي، والمتمثلة بالممارسات العنصرية العنيفة والوحشية كالقتل ومصادرة الأراضي وهدم المنازل بحجة انعدام التراخيص و تهجير الأسر من أراضيهم و بيوتهم و إقامة جدار الفصل العنصري ونقاط التفتيش والتعذيب والاعتقال والاغتيال والحظر الاقتصادي وإغلاق المدارس و الجامعات وتدمير البنية التحتية الفلسطينية، فإن جميع هذه الممارسات من أبرز الأسباب التي أدت للأمراض والاضطرابات النفسية لدى بعض أفراد الشعب الفلسطيني والتي تساهم في ظهور العديد من الظواهر المدمرة والمنتشرة في المجتمع الفلسطيني مثل عمالة الأطفال والفقر والعنف

المدرسي والأسري وإدمان المخدرات والعدوان وغيرها من المشاكل المجتمعية بالتزامن مع عدم مراقبة السلطة الفلسطينية لمختلف الخدمات النفسية والصحية والاجتماعية التي تقدمها المنظمات غير حكومية في الضفة الغربية وقطاع غزة، هذا يجعل من مختلف المهن الصحية غير واضحة الأدوار وتعاني من غياب الحدود ويشمل ذلك علم النفس والعمل الاجتماعي والتعليم وعلم الاجتماع، عدا عن إتباع الطريقة الغربية الفردية الاختزالية في البحث والممارسة للصحة النفسية المجتمعية في فلسطين والذي يجعل من هذه الممارسات بلا جدوى ولا فائدة للسكان الأصليين في العديد من الأحيان تعزز إحساس العجز لدى الأفراد وكأن الحالة حالة فردية وليس نتاج لواقع قهري استعماري هدفه تعزيز العقم الفكري والمجتمعي لإبقاء الوضع كما هو عليه ليخدم أجندتها العنصرية الاستعمارية (مكاوي، 2015).

بعض النظريات التي يمكن العودة لها في علم النفس المجتمعي والتي من الممكن أن تفيد هذه الدراسة هي:

النظرية البيئية / Ecological Theory

تركز نظرية كيلي البيئية (1968) على كيفية أن يصبح الأفراد قابلين للتكيف في بيئات اجتماعية مختلفة. إذ اقترح كيلي أربعة مبادئ بيئية تعمل كنظرية لفحص توجهات وسلوكيات الأفراد وهي: الاعتماد المتبادل وتدوير الموارد والتكيف والتتابع. الاعتماد المتبادل هو التغيير في أحد مكونات النظام البيئي يمكن أن يغير العلاقات بين المكونات الأخرى للنظام. ويوفر مبدأ تدوير الموارد دليلا لفهم كيفية إنشاء النظم الإيكولوجية لموارد جديدة واستخدامها وبالتالي يتيح لنا ذلك تحديد كيفية استخدام الموارد بشكل أكثر فاعلية، وكيف يمكن إنشاء موارد إضافية

جديدة. إذ يتم تعريف التكيف من خلال الطريقة التي تقيد بها البيئات سلوك الأفراد وتشكله، وكيف تبدأ البيئات في التغيير بسبب وجود الأفراد بداخلها. يشير هذا المفهوم إلى أن السلوك التكيفي في مكان ما قد لا يكون قابلاً للتكيف في أماكن أخرى، وكما يوجهنا نحو محاولة تقييم المشاركين في تحديد الأدوار التكيفية وفي توليد قبول معياري ودعم لمجموعة واسعة من السلوكيات التكيفية، أما مبدأ التتابع يشير إلى أن المجتمعات في عملية تغيير مستمرة، ومع مرور الوقت يتغير الطلب على القدرات التكيفية. استخدم علماء النفس المجتمعي هذه النظرية لفهم السلوك في التفاعل مع السياقات الاجتماعية والثقافية، وبالنسبة لكيلي يعد التكيف والتتابع عملية بيولوجية وديناميكية تميز الأوضاع الاجتماعية والتفاعلات البشرية، ويمكن ربط الدراسة الحالية في هذه النظرية وذلك لتفاعل العامل الفلسطيني ضمن السياق الاستعماري فمن الممكن أن يتكيف في هذا النظام وذلك من أجل مصلحته ومصلحة عائلته وكيف أن توفر موارد معينة تجعله أكثر تأقلما وتكيفا وكيف أن هذه الموارد قد تغير في سلوك هؤلاء العمال، لمجرد أن يكونوا جزءا من مجموعة، ومن هنا يمكننا السؤال هل الدعم البيئي الذي يتلقاه العامل يسهل الأنشطة الاجتماعية والسلوكيات التكيفية لديهم؟، إذ يساعد المفهوم البيئي للاعتماد المتبادل العمليات الديناميكية التي تحدث غالبًا في تدخلاتنا الاجتماعية والمجتمعية (Leonard & Others, 2016).

نظرية الحس النفسي المجتمعي / Sense of Community Theory

كانت رؤية ساراسون (1974)، بأن الحس النفسي للمجتمع كان شعورا ظهر كدالة للتفاعل بين الفرد والسياق. إذ وصف هذه النظرية على النحو التالي: "صور التشابه مع الآخرين،

والاعتماد المتبادل المعترف به معهم، والرغبة في الحفاظ على هذا الاعتماد المتبادل من خلال إعطاء أو القيام بما يتوقعه المرء للآخرين، والشعور بأنه جزء من هيكل أكبر يمكن الاعتماد عليه ". يشتمل هذا التعريف على العديد من الجوانب الرئيسة لعلم النفس المجتمعي، مثل فكرة أن الفرد موجود داخل شبكة وهيكل أكبر وأن هؤلاء الأفراد مترابطين. على وجه الخصوص، يدعي الشعور بنظرية المجتمع أنه إذا شعر الناس أنهم موجودون داخل شبكة مترابطة أكبر، فإنهم أكثر استعدادا للالتزام بل وحتى تقديم تضحيات شخصية لتلك المجموعة. إلا أنه لا يوجد تطابق تام للإحساس بالانتماء للمجتمع الذي يقوم على المشاعر وليس على أساس تقييم عقلاني لإشباع احتياجات أو تطلعات الفرد. إن الإحساس بالانتماء للمجتمع هو أكثر من مجرد "التماسك"، أو المشاعر الإيجابية للمجموعة، مثل "الروح المعنوية" التي يدرسها عادةً علماء النفس الإيجابي (بيترسون، بارك، وسويني، 2008). من الناحية النظرية، تحاول هذه النظرية وصف مشاعر الترابط على المستوى الفردي والآثار المترتبة على هذه المشاعر وعلى السلوكيات والتوجهات بالإضافة إلى الطرق التبادلية التي يمكن من خلالها للأماكن المختلفة أن تسهل مشاعر الترابط والسلوكيات ذات الصلة. لكن الإحساس بالانتماء للمجتمع هو بناء كلي وليس مقياسا فرديا، والميزة الأساسية هي كيف يؤثر أعضاء المجموعة أو الكيان الأكبر على المشاعر الفردية للمجتمع، فإن التقييم الجماعي أمرا بالغ الأهمية. في الجوهر، بدلا من تقييم الإحساس بالانتماء للمجتمع من خلال ملاحظة شخص واحد، من الضروري أن تكون هناك عينة تمثيلية من الأفراد للاستفادة من هذا البناء (سارسون، 1974). اقترح ماكميلان وشافيز (1986) أن يكون لهذا البناء أربعة أبعاد: العضوية او الانتماء وتلبية الاحتياجات

والاتصال العاطفي المشترك والتأثير. تم تعريف الشعور النفسي المجتمعي على أن: "الشعور بالانتماء للمجموعة والإيمان المشترك بأن حاجات الأفراد ستتحقق من خلال التزامهم بالبقاء موحدين مع الآخرين". ويمكن ربط هذه النظرية مع الدراسة الحالية بحسب هذا النموذج الذي يُعتبر من أكثر النماذج شيوعا واعتمادا، فإن الحس النفسي المجتمعي لدى العمال/العاملات الفلسطينيين يرتفع، أي حسهم بالانتماء يزداد قوة حين يتوفر دعم لهم واحتضان شعبي لفعلهم النضالي وتحقيق لاحتياجاتهم التحررية من الإحتلال الصهيوني، وأن هذا الانتماء للمجموعة زادهم قوة وقدرة على الصمود في وجه هذه التجارب الصعبة والقاسية وذلك لإيمانهم بقضيتهم (McMillian& Chavis, 1986).

نظرية التمكين / Empowerment Theory

ذكر راپابورت (1987) أن نظرية التمكين يجب أن تكون قادرة على تحديد البناء ووصف مجموعة المواقف التي يمكن تعميمها، وأشار إلى أن علم النفس المجتمعي كمجال للدراسة قد وصل إلى وقت في تطوره عندما يجب اقتراح النظرية واختبارها وتعديلها. بدون نظرية لا يمكن للمجال أن يستمر طويلا كمشروع علمي. هناك أربعة خصائص لنظرية التمكين أولها يمكن النظر إلى الأفراد ككيانات كاملة لها احتياجات وحقوق، أما ثانيها يجب الانتباه إلى التناقض، وثالثها، هناك حلول جدلية ومتشعبة للمشاكل الاجتماعية، أما رابعها وجود إحساس رمزي في فهم وحل المشكلات الاجتماعية. بمعنى آخر لا ينبغي النظر إلى الأفراد من منظور واحد. بالإضافة إلى ذلك ، نظرا لوجود عدد لا يحصى من الحلول والفرص لحل مشاكل المجتمع، وليس من الأمثل تنفيذ حلول فردية لمعظم القضايا الاجتماعية، وبالتالي التمكين هو آلية

يكتسب من خلالها الأفراد والمنظمات والمجتمعات السيطرة على شؤونهم، ما يجعل التمكين مختلفًا في محتواه الواضح لمختلف الأشخاص والمؤسسات، وهو يقودنا إلى البحث عن حلول لمشاكل العيش في مجموعة متنوعة من البيئات المحلية، بدلاً من الحلول المركزية الفردية، ويمكن ربط هذه النظرية مع الدراسة الحالية في أن التمكين للعمال والعاملات الفلسطينيين يجعلهم قادرين على مواجهة التحديات والصعوبات المختلفة التي سوف تستنتجها هذه الدراسة وبالتالي تسهل عليهم النظر إلى الصعوبات من مختلف النواحي لإيجاد حلول تساعدهم في التقدم والتطور كمجموعة تكافح من أجل البقاء والتحرر وللحصول على جميع حقوقها بالتساوي (Leonard & others, 2016).

نظرية العدالة الاجتماعية/ Social Justice Theory

بحسب (Rawls، 1971) إن الفكرة الرئيسة لهذه النظرية، أن مبادئ العدالة الأساسية للمجتمع هي التي يقبلها الأحرار والعقلانيون المعنيين بتعزيز مصالحهم الخاصة في موقف من المساواة كتحديد الشروط الأساسية لارتباطهم. تهدف هذه المبادئ إلى تنظيم جميع الاتفاقيات الأخرى وبالتالي تحدد أنواع التعاون الاجتماعي التي يمكن الدخول فيها وأشكال الحكومة التي يمكن إنشاؤها. بهذه الطريقة في التعامل مع مبادئ العدالة المنصفة، وبالتالي علينا أن نتخيل أن أولئك الذين ينخرطون في التعاون الاجتماعي يختارون معًا في عمل واحد مشترك، المبادئ التي تحدد الحقوق والواجبات الأساسية وتقسيم المنافع الاجتماعية. وعليه يجب على الأفراد أن يقرروا مسبقًا كيف ينظمون مطالبهم ضد بعضهم البعض وما هو الميثاق الأساسي لمجتمعهم. مثلما يجب على كل شخص أن يقرر عن طريق التفكير العقلاني ما الذي يشكل

له خيرا، كذلك يجب على مجموعة من الأشخاص أن يقرروا مرة واحدة ما يجب اعتباره بينهم على أنه عادل وغير عادل. إن الاختيار الذي سيتخذه الأفراد العاقلين هو الحرية المتساوية، بافتراض أن مشكلة الاختيار هذه لها حل تحددها مبادئ العدالة. وهنا تنقسم العدالة إلى نوعين هما: العدالة التوزيعية أي التوزيع العادل والمنصف للموارد والفرص والالتزامات والسلطة في المجتمع ككل، ومن المهم التركيز على أن العدالة الاجتماعية يجب أن تشمل الحقوق والواجبات، تتكون العدالة من الفرد والأسرة والمنظمة وفقًا لاحتياجاتها وقدرتها وجهدها وفرصها وحقوقها وسلطتها، من الفرد والأسرة والمنظمة والمجتمع وفقًا لها أو احتياجاته وقدرته والتزامه وواجباته وفرصه وامتيازاته، أما النوع الثاني فهو العدالة الإجرائية؛ أي عمليات صنع قرارات عادلة وشفافة وشاملة وتشاركية. يعالج علماء النفس المجتمعيين قضايا العدالة عبر مستويات مختلفة من البيئات الاجتماعية والتي تبدأ من المستوى الصغير/ الجزئي (Micro level)، إذ تهتم الأشكال التوزيعية والإجرائية للعدالة إلى حد كبير بالإنصاف في مجال العلاقات الفردية. وتتضمن العدالة التوزيعية في التفاعلات بين الأشخاص كمشاركة السلع والمسؤوليات في علاقة معينة. كما العدالة الإجرائية الشخصية بالعلاقات غير الاستغلالية التي تتميز بالكرامة والاحترام وعمليات صنع القرار المشتركة (Prilleltensky، 2012).

أما على المستوى المتوسط للمنظمات والمؤسسات (Meso level)، تنطبق نفس المبادئ التي يقوم عليها المفهوم الحالي للعدالة، ولكن يتم ترجمتها إلى سياقات أوسع بشكل متزايد. أحد الأمثلة على العدالة التوزيعية في هذا المستوى هو الإنصاف في الأجور في مكان العمل. تتطلب اعتبارات العدالة الإجرائية في هذا المستوى أن يكون الأفراد على دراية كافية وأن يكون

لهم صوت في القرارات المرتبطة بالتوزيعات على المستويين التنظيمي والمؤسسي. أما على المستوى الأوسع من التحليل (Micro level)، توجد اعتبارات إضافية تتعلق بالعدالة خاصة بمجال المجتمعات والأمم. تماشيا مع مستويات التحليل الأخرى، تتطلب العدالة التوزيعية والإجرائية أن يتمتع جميع الأفراد بفرص متساوية للوصول إلى الموارد والخدمات الاقتصادية، مع تلقي معاملة منصفة من قبل هذه النظم الاجتماعية. تبرز هذه القضايا بشكل خاص في الديناميكيات المجتمعية التي تنطوي على انتماءات المجموعات الاجتماعية (مثل العرق والجنس والطبقة الاجتماعية، وما إلى ذلك)، وبالتالي غالبًا ما تتحدث عن قضايا المساواة والحقوق المدنية. رؤية علم النفس المجتمعي ترتكز على مُثل العدالة الاجتماعية، والاندماج الاجتماعي، وتقرير المصير، والتضامن، والعافية الجماعية. لذلك يهتم علماء النفس المجتمعي بالفجوة بين الحالة الراهنة ومجموعة مثالية من الظروف المجتمعية. فإن علم النفس المجتمعي يدور حول استكشاف إمكانيات التنبؤ المسبق بمجتمع عادل مع تحديد ما يعيق هذه الرؤية من أجل تحديد الأنظمة والسياسات وظروف المجتمع التي تحتاج إلى التحول والتغيير، ويمكن ربط هذه النظرية مع الدراسة الحالية من خلال تفاعل مجموعة العمال والعاملات الفلسطينيين كجماعة على علم في تقرير مصيرها نتيجة تفاعلها مع أكثر من نسق، يبدأ بكونها من المجتمع الفلسطيني وتفاعلها مع الأنساق ومعرفتها في المستويات المختلفة من الأسر لغاية العمل والمجتمع الأخر وهو دولة الإحتلال (Prilleltensky، 2012).

يعالج علماء النفس المجتمعيين قضايا العدالة عبر مستويات مختلفة من البيئات الاجتماعية والتي تبدأ من المستوى الصغير/ الجزئي (Micro level)، إذ تهتم الأشكال التوزيعية والإجرائية

للعدالة إلى حد كبير بالإنصاف في مجال العلاقات الفردية. وتتضمن العدالة التوزيعية في التفاعلات بين الأشخاص كمشاركة السلع والمسؤوليات في علاقة معينة. كما العدالة الإجرائية الشخصية بالعلاقات غير الاستغلالية التي تتميز بالكرامة والاحترام وعمليات صنع القرار المشتركة (Prilleltensky، 2012).

نظرية التعامل مع الضغط والتأقلم/ The Transaction theory of Stress and Coping

وفقاً لـ Lazarus and Folkman (1984)، الإجهاد النفسي هو علاقة خاصة بين الفرد والبيئة التي يقيّمها الشخص على أنها تفرض ضرائب على موارده وتعرض حياته للخطر، تمر هذه العلاقة بمرحلتين مهمتين هما: التقييمات المعرفية والتأقلم. التقييم المعرفي هو عملية تصنيف لقاء ما وجوانبه المختلفة المتعقلة في رفاهية الفرد والجماعات. يمر هذا التقييم من خلال آليتين معرفيتين هما: التقييمات الأولية والثانوية. التقييم الأساسي هو تقييم لما هو على المحك: "هل أنا في ورطة أو أستفيد الآن أو في المستقبل وبأي طرق؟" إذا كانت الإجابة على هذا السؤال بنعم، فإن المجموعات يصنفون الموقف على أنه تهديد أو خسارة. تشير الخسارة إلى الأضرار التي حدثت بالفعل، إذ يمكن أن يشير التهديد أو التحدي إلى الأحداث الماضية أو الأحداث المتوقعة. بينما يشير التهديد إلى وجود خطر محتمل على رفاهية الفرد أو احترامه لذاته، بينما يشير التحدي إلى أن الفرد يركز على النجاح والمكافآت الاجتماعية والنمو الشخصي الذي يمكن أن يجلبه الموقف. يمكن ملاحظة أن تقييمات التهديد والتحدي لا يستبعد أحدهما الآخر بالضرورة. كما ذكر لازاروس وفولكمان (1984)، فإنهما ليسا نهايتين لسلسلة واحدة متصلة على الرغم من وجود ارتباط سلبي بينهما، إلا أن تقييمات التهديدات

والتحديات يمكن أن تحدث في وقت واحد. التقييم الثانوي هو تقييم لموارد المواجهة والإجابات على السؤال: "هل يمكنني التعامل مع هذا الموقف؟". إنه يشير إلى الثقة في قدرة الفرد على التعامل مع الموقف لأن لديه الموارد اللازمة للتعامل معه. يمكن أن تكون الموارد مادية كالصحة والطاقة أو مصادر اجتماعية مثل الدعم الاجتماعي الذي يمكن أن يحصل عليه الفرد من العائلة والأصدقاء والشبكة الاجتماعية أو نفسية مثل المعتقدات والروح المعنوية، أو المادية. أما التأقلم يشير إلى الجهود المعرفية والسلوكية لإتقان أو تقليل أو تحمل المطالب الداخلية و / أو الخارجية الناتجة عن المعاملة الصعبة. اقترح لازاروس وفولكمان (1984) أن المواجهة تخدم وظيفتين رئيستين: الأولى هي تنظيم العواطف أو الضغوط التي تأتي مع الموقف المجهد (التأقلم الذي يركز على العاطفة). والآخر هو إدارة المشكلة التي تسبب الضغط عن طريق التغيير المباشر لعناصر الموقف المجهد (التكيف الذي يركز على المشكلة). على الرغم من استخدام كلا شكلي المواجهة في معظم المواقف المجهدة، إلا أنهما يعتمدان على الطريقة التي يقيّم بها الفرد أو المجتمع الموقف (Berjot and Gillet, 2011). نموذج الإجهاد والتعامل مع تهديدات الهوية، هو كيفية تفاعل الأفراد والمجموعات مع التهديدات التي تتعرض لها هويتهم مثل تهديد الصورة النمطية والتمييز والتحيز، يجب على الفرد أن يأخذ في الحسبان السمة الرئيسة للوصمة وجانبها التقليل من قيمة الهوية. كما ذكر كروكر وآخرون غالبًا ما يتم التقليل من قيمة الأفراد الموصومين في المجتمع، كما هو الحال عندما يكون الشخص الموصوم بالعار في موقف يمكن فيه تطبيق الصورة النمطية السلبية المرتبطة بمجموعته. من الضروري التمييز بين ما هو ملموس في موقف ما والذي يمكن

التعامل معه مثلا استراتيجيات المواجهة التقليدية، وما يعنيه الموقف للهوية. في الواقع، التعامل مع عواقب التمييز (أي التعامل مع حقيقة أن أحدهم يرفض لي وظيفة أو شقة) ليس بالضبط نفس الشيء من التعامل مع ما يعنيه ذلك لهويتي (أي أشعر أنني لست أحدًا، أشعر أن أعضاء مجموعتي يتعرضون للإهانة، وما إلى ذلك). إذا كان بإمكاني التعامل مع حقيقة أن صاحب العمل يرفض لي وظيفة لأنني امرأة (من خلال التصرف على عامل الضغط، من خلال "التخطيط لأفعالي" كنماذج للتكيف)، فكيف يمكنني التعامل مع حقيقة أن هويتي (شخصي و / أو اجتماعي) مهددة؟ النموذج الذي نقترحه هنا ينطبق بشكل أكثر تحديدًا على تلك التهديدات غير الملموسة التي تشكل تهديدات للهوية. إن الاستراتيجيات التي أبرزها نموذج التعامل مع الضغط في المواقف القياسية أو "العادية" ليست هي نفسها تلك المستخدمة عند الاضطرار إلى التعامل مع تهديدات الهوية، مثل التعامل مع الوصم أو مع تهديد الهوية الأخرى المواقف. تتمثل إحدى الاستراتيجيات في محاولة ملاءمة استراتيجيات إدارة الهوية في التصنيفات الفعلية. تقترح هذه الاستراتيجية تصنيف استجابات المواجهة الطوعية إلى تفاعل أو فك ارتباط يتعامل مع الحدث أو المشكلة المجهدة. بعدها قد يهدف التأقلم إلى الانخراط وفك الارتباط إما إلى اكتساب السيطرة الأولية (أي الجهود الموجهة نحو المشكلة وردود الفعل العاطفية التي تثيرها) أو السيطرة الثانوية (أي جهود التكيف مع الموقف). إذا كانت طريقة العمل هذه قد حلت بعض المشكلات المرتبطة بحقيقة أن المواجهة المركزة على العاطفة، فإنها لا تحل مشكلة خصوصيات استراتيجيات إدارة الهوية ولا تفعل ذلك. الإجابة على السؤال الخاص بوظائف التعامل مع تهديدات الهوية، ولماذا يستخدم الأفراد والمجموعات استراتيجيات

محددة لإدارة الهوية؟ تتمثل إحدى طرق الإجابة على هذا السؤال في الإشارة إلى الدوافع التي قد تنجم عن تقييمات محددة، أي حماية وتعزيز الجوانب الشخصية أو الاجتماعية للهوية (Berjot and Gillet, 2011).

الدراسات السابقة

جاءت دراسة (حمامي، 2006)، التي درست "تأثير حاجز سردا على حياة الفلسطينيين"، وجدت بأنهم قاوموا الحاجز من الناحية الفكرية بتغييرهم لمعناه، فرفض الفلسطينيون تمثيل دور الضحية بتجميد حياتهم اليومية وحركتهم والرضوخ لإستراتيجيات الحواجز التي تمنعهم من الحركة، بل على العكس من ذلك، فمعنى الحاجز الذي كونه الفلسطينيون غير من الحقيقة، لأن الفلسطينيين هزموا ما يمثله الحاجز والجنود من مواقع القهر والذل بحيث أصبح فضاء حيويا خلقت من ورائه حياة عادية من تجارة وتنظيم مواصلات، فبدلا من اعتبار الحاجز رمزا لإذلال الفلسطينيين أصبح معناه رمزيا ويمثل واجب الاستمرار والمقاومة للحياة اليومية رغما عن أنف الإحتلال، هل الدراسة الحالية للعمال سوف تتفق مع دراسة حمامي بتحويل الجدار إلى رمز إيجابي بالنسبة للعمال الفلسطينيين؟

أما دراسة(بونتو،2011)، التي تسلط الضوء على "تجربة العمال الذي يعبرون إلى إسرائيل في الخفاء"، حيث وجدت بأن العمال يقاومون الإحتلال ماديا ويخترقون الحواجز، إذ يصف الكاتب بدراسته الحياة البائسة التي يعيشها العمال الفلسطينيون الذين يعيشون في إسرائيل بصورة غير قانونية، فهم ينامون في العمارات قيد الإنشاء أو تحت الشجر في الخلاء، ونستنتج بأن العمال الفلسطينيين عند عودتهم إلى منازلهم، يشعرون بالحنين لأماكن إقامتهم في السياق

الاستعماري مع أن الأوضاع فيها بائسة وصعبة، ويحلل الكاتب هذا الشعور إلى الطريق المسدود الذي وصل إليه الفلسطينيون، فوضعهم بشكل عام متناقض، وهدفت هذه الدراسة إلى فهم بعض الملامح المركزية لتجربة هؤلاء العمال من خلال الطريقة التي يُعّبرون فيها عن هذه التجربة، بالإضافة إلى التصورات المختلفة للحدود، يرتسم التعبير عن تجربة جماعية تفصلهم عن غيرهم من الفلسطينيين، وهي تجربة الهيمنة والانكشاف التي تؤثر قبل كل شيء على تصورهم لكرامته. تتقاطع هذه الدراسة مع دراستنا الحالية في الظروف البائسة التي يعيشها العمال ولكنها لم تتعمق في هذه التجارب لتعطي الصورة الواضحة، حيث إنها ركزت على منطقة جغرافية مختلفة عن المنطقة الجغرافية التي سوف تخوض التجارب فيها هذه الدراسة.

أما دراسة (شرقية، 2014)، "تناولت الوضع القانوني للعمال الفلسطينيين في الضفة وغزة داخل الخط الأخضر"، حيث تخضع هذه الشريحة لقوانين العمل والحماية القانونية، وتتمتع بحماية قانونية مساوية لنظرائهم الإسرائيليين في نفس ظروف العمل، وأيضا بين الباحث من خلال هذه الدراسة مدى سوء أوضاع العمال الفلسطينيين العاملين لدى مشغلين إسرائيليين، حيث وضحت الدراسة وجود تمييز واضح بين هذه الفئة من العمال بالمقارنة مع نظرائهم من العمال الإسرائيليين في نفس ظروف العمل أسواء التمييز في الأجور أو في ساعات العمل والإجازات. تقاطعت دراسة شرقية مع الدراسة الحالية بموضوع التمييز والاضطهاد ولكنها درست العاملين في الضفة والقطاع بشكل أوسع وأشمل ولم تتطرق للعاملات كالدراسة الحالية، وبالعودة لدراسة (خلفية، 1996) "الطلب على العمالة الفلسطينية في إسرائيل والأراضي المحتلة، التي ركزت على تحليل الطلب على العمالة الفلسطينية لتحديد العوامل المؤثرة على

هذا الطلب وكيفية التأثير على هذه العوامل للحد من آثارها السلبية، وذلك من خلال السياسات الاقتصادية الهادفة إلى زيادة فرص العمل في الأراضي المحتلة، وأيضا هدفها الآخر إثبات أن إسرائيل سعت لاقتلاع الإنسان الفلسطيني من أرضه ووطنه وإبعاده عن الأنشطة الرئيسة كالزراعة والصناعة حتى لا تتم تنمية الاقتصاد الفلسطيني. هذه الدراسة ركزت على الجانب الاقتصادي للعمال والعمالة الفلسطينية ولم تتطرق للجانب النفسي لهم. اتفقت دراسة (مركز العالم العربي للبحوث والتنمية، 2013) "العمال الفلسطينيون" مع بعض الأجزاء التي تناولتها الدراسة الحالية من حيث التركيز على النوع الاجتماعي، بالإضافة لظروف وتجارب العمل والعمال في السياق الاستعماري، وأيضا لإتباع أسلوب المقابلات المعمقة للعمال سواء ذكور أم إناث، وتمت هذه الدراسة بشكل شمولي ليضم أكثر من منطقة سواء المستوطنات أو بعض المدن الفلسطينية ومنها الخليل ونابلس. بالمقابل الدراسة الحالية سوف تتعمق في تجارب العمال وانعكاسها على الصحة النفسية لديهم. أما دراسة (هلال، 2013) " تكتيكات التجاوز والمناورة عند المرأة الفلسطينية في ظل وجود الاستعمار الصهيوني، فجاءت هذه الدراسة للتقاطع مع الدراسة الحالية من حيث المنطقة الجغرافية إذ ركزت الدراسة على الحياة اليومية لبعض النساء الفلسطينيات اللواتي يسكن في منطقة بيت لحم المعزولة بالجدار والحواجز ويعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة للوصول لأماكن عملهن في الدرجة الأولى، وأيضا ركزت الدراسة على الجوانب النفسية والجسمانية ولكنها استثنت الذكور من الدراسة لكن الدراسة الحالية سوف تركز على التنوع الجندري وتدرس مناطق جغرافية مختلفة من قرى مدينة بيت لحم لتتعمق في الجانب النفسي والصحة النفسية للعمال والعاملات الفلسطينيين في السياق

الاستعماري. أما دراسة (عبد المجيد، أبو غوش، 2017)، "الحركة العمالية والنقابية والبحث عن العدالة الاجتماعية في فلسطين المحتلة"، ركزت الدراسة على البحث والحديث عن العدالة والمرتبط بالهوية الوطنية والطبقية، والمتعلقة أيضا في حركة التضامن والحقوق مع إشكالية وضبابية هذين البعدين في ظل السياق القائم في فلسطين المحتلة، ومرتبط بمفهوم المواطنة والطبقة و تحقيق العدالة الاجتماعية في الحالة الفلسطينية وتم التركيز في هذه الدراسة على التنوع الجندري ولكن تم اخذ التنوع الجندري في أكثر من منطقة فلسطينية وتم التركيز على العدالة الاجتماعية فهذه الدراسة مشابهة للدراسة الحالية من حيث الظروف التي يعمل بها العمال الفلسطينيون من كلا الجنسين ولكن لم تتعمق في التجارب والصحة النفسية للعمال.

الفصل الثالث

منهجية الدراسة والإجراءات

الفصل الثالث

منهجية الدراسة والإجراءات

تمهيد

يتضمن هذا الفصل وصف لمنهجية ومجتمع الدراسة، والمشاركين، بالإضافة إلى الإجراءات المتبعة، وأداة الدراسة وانتهاء بتحليل البيانات.

منهجية الدراسة

اعتمدت في هذه الدراسة على البحث النوعي لما لهذه المنهجية أهمية في الفهم العميق للسلوك الإنساني والظاهرة الاجتماعية بكافة جوانبها. تمكن البحوث الكيفية الباحثين تناول العديد من العوامل والمتغيرات المركبة والمتشابكة التي تساهم في تشكيل الظواهر، لذلك فإن منهجية البحث الكيفي تتناسب أكثر مع موضوع الدراسة إذ تعطي الفرصة للعمال والعاملات التعبير عن أنفسهم وخبراتهم وتجاربهم بشكل معمق وشامل (بيبر، ليفي،2011). وبالعودة لعلم النفس المجتمعي إذ بدأ الاهتمام في البحث النوعي منذ الماضي ولغاية اليوم، ذلك لكون الأساليب النوعية قادرة على فهم التنوع الفردي والفروق الفردية التي تظهر ضمن السياق الاجتماعي المدروس، كما وأنها أنسب لكونها تمتلك القدرة لتمكين المجموعات والأشخاص الذين يتم تهميشهم من قبل المجتمع وبالتالي تحقيق أهم الأهداف التي يسعى إليها علم النفس المجتمعي وهو التغيير الاجتماعي، ومن هنا قام علماء النفس المجتمعي بربط البحث النوعي والأخص التشاركي بالتغيير الاجتماعي من خلال استعارتهم الأكثر شهرة وهي "إعطاء الصوت"، حيث يساعدهم ذلك على اكتشاف قصص الأشخاص الذين يفتقرون للقوة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية من خلال روايتهم حول تجاربهم الحية، لذلك النتائج النوعية تساعدهم على استبدال المفاهيم الخاطئة والسائدة عن الفئات المهمشة وبالتالي تمكينهم (Stein, and S. Mankowski,2004). تم توظيف المقابلات المعمقة للحصول على فهم صحيح عن الأفراد المشاركين في الدراسة، كما وأن هذا النوع من المقابلات يمكّنني كباحثة في الاقتراب من الأصوات المقهورة والمظلومة، وبحسب (Rainharz,1992) وضحت أن إجراء المقابلات

كان من الطرق التي اتبعها الباحثون النسويون للوصول إلى ما لدى النساء من معرفة جرى إخفاؤها أو قمعها وهذا النوع يساعدني كباحثة في التعمق بتجربة العاملات الفلسطينيات اللاتي يعملن في السياق الاستعماري وكيف انعكست على الصحة النفسية لديهن، وأخلاقيا كباحثة تم إبلاغ المشاركين والمشاركات بكافة جوانب البحث والتي قد تؤثر على قرار الفرد بالمشاركة أو عدمها، وبعدها إعلامهم بهدف البحث وأخذ الموافقة من المبحوثين على تسجيل أصواتهم مع مراعاة خصوصية كل منهم (بيبر، ليفي،2011).

مجتمع الدراسة

يتكون من العمال والعاملات الذين يعملون في الداخل المحُتل من سكان الضفة الغربية العاملين داخل الخط الأخضر، وبالتحديد من مدينة بيت لحم وضواحيها لأنها تضم حاجز (300) وهو الحاجز الأساسي الذي يمُر منه العمال والعاملات للعمل في القدس المٌحتلة، بالإضافة للقرى الغربية ومنها حوسان ونحالين وبتّير، ومخيماتها وهي الدهيشة وعايدة والعزة، وهذا التنوع الجغرافي مهم لِفهم البيئات المختلفة، وأيضا يعطي نظرة شمولية لهذه الدراسة كون علم النفس ينطلق من دراسة البيئة وتأثيرها على الأفراد والأنساق المختلفة التي تضم هؤلاء العمال والعاملات.

عينة الدراسة

هي العينة القصدية أو الهادفة لأنها تعتمد على نوع الاختبار المقصود وتم اختيارها على أساس الخبرة السابقة، بالإضافة لكونها الأقدر على تزويد الباحث بالبيانات التي يحتاجها في دراسته. شملت عينة الدراسة على 30 عامل وعاملة، لكن شاءت الظروف أن تصل عينة هذه

الدراسة إلى خمسة عشر، حيث بلغ عدد الذكور تسعة والإناث خمس. والظروف متعلقة في عدم موافقة البعض منهم على إجراء المقابلة بسبب خوفهم من خسارة عملهم أو التصريح، وأيضا بسبب عدم وجود الوقت أمام العامل وخاصة العمال الذين حاولت مقابلتهم قبل ذهابهم للعمل لأنهم على عجلة من أمرهم خوفا من تأخرهم عن عملهم، قد تكون المقابلة بحد ذاتها سياق جديد للعمال وبالأخص الذكور، والذين قد يجدون صعوبة في الحديث عن قضايا شخصية مع باحثة غريبة.

المبحوثين ونبذة عنهم

علما بأن هذه الأسماء مستعارة وذلك حفاظا على سرية وخصوصية المبحوثين.

أولاً: قيس، يبلغ من العمر (25) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، متزوج، ينتظر مولوده الأول، تخصص في مجال محاماة، وبدأ العمل منذ 8 أشهر في مجال الطراشة والدهان بالداخل المحتل.

ثانيا: فدوى، تبلغ من العمر (57) عاما، من سكان مخيم عايدة، متزوجة، وأولادها متزوجون، علما بأنها قبل الكورونا كانت تعمل في مجال السياحة، لكن حاليا ومنذ سنتين تعمل في مصنع لصناعة الحلويات في تل أبيب.

ثالثا: أيوب، ويبلغ من العمر (55) عاما، من سكان حوسان، متزوج، ولديه أربعة أبناء، وهو عامل مواسير يعمل منذ 20 عاما.

رابعا: أبو العز، يبلغ من العمر (60) عاما، من سكان مخيم الدهيشة، متزوج، فهو عامل بناء ويعمل منذ أكثر من عشرون عاما.

خامسا: يزن، يبلغ من العمر (30) عاما، من سكان الدوحة، متزوج، ويعمل "كهربائي"، منذ ثماني سنوات، في شركة.

سادسا: حنان، تبلغ من العمر (60) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، متزوجة، تعمل ملجأ للمسنات وتقوم برعايتهن منذ أكثر من ثلاثون عاما.

سابعا: أحمد، يبلغ من العمر (35) عاما، من سكان مخيم عايدة، متزوج، ولديه ولد وبنت، وهو عامل بناء، ويعمل منذ ثلاثة سنوات في مستوطنة بيتار عليت.

ثامنا: ناديا، تبلغ من العمر (44) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، مطلقة، ولديها ابنتين، وتعمل في مصنع حلويات في تل أبيب، منذ شهرين تقريبا، علما بأنها كانت تعمل في مجال السياحة قبل الكورونا.

تاسعا: سعاد، تبلغ من العمر (59) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، متزوجة، ولديها ولدين، تعمل عاملة نظافة بحي لليهود منذ ثلاثة وعشرون عاما.

عاشرا: علي، يبلغ من العمر (40) عاما، من سكان بتير، متزوج، ولديه خمسة أبناء، يعمل عامل بناء منذ خمسة سنوات.

الحادي عشر: عزيز، يبلغ من العمر (28) عاما، من سكان حوسان، متزوج، وهو عامل بناء منذ تسعة أشهر، ويعمل في ورش بناء بمناطق مختلفة.

الثاني عشر: ملحم، يبلغ من العمر (48) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، وهو عامل بناء ويعمل منذ عشرة سنوات.

الثالث عشر: مصطفى، يبلغ من العمر (58) عاما، من سكان بتير، متزوج، ولديه بنتين وولدين، وهو يعمل في مصنع للمبيدات والكيماويات في مستوطنة "معالي أدوميم" منذ عشرة سنوات.

الرابع عشر: فاتن، تبلغ من العمر (43) عاما، من سكان مدينة بيت لحم، ولديها ثلاثة أبناء، وهي تعمل في مصنع لزراعة بإحدى المستوطنات.

الخامسة عشر: ظريفة، تبلغ من العمر (40) عاما، من سكان مخيم الدهيشة، ولديها 4 اطفال وتعمل في مصنع لزراعة بإحدى المستوطنات.

أداة الدراسة

اتبعت في هذه الدراسة أسلوب المقابلات المعمقة المفتوحة لأنها تعد وسيلة للحصول على المعلومات بشكل مرن وشمولي، وبالتالي المقابلة المتعمقة هي نوع مختلف من الحوار إذ يبدأ الباحث الذي يجري المقابلة بطرح سؤال

وثم يقوم بعدها بدور المنُصت الفعال، كما أن هذا النوع من المقابلات يمكنني كباحثة الاقتراب من الأصوات المهمشة ومن ثم الوصول إلى المعرفة المقهورة، هؤلاء الذين تم تهميشهم في المجتمع كنساء وعمال قد يكون لديهم خبرات محجوبة ومعرفة جرى قمعها واستبعادها عن إدراكنا للحقيقة الاجتماعية. عدا عن أن هذا النوع من المقابلات يتوفر فيه عنصر الخصوصية التي يخلقها الباحث لإعطاء المبحوث الراحة للحديث عن الخبرات والمشاعر التي يتحدث ويشعر بها المبحوث سواء الإيجابية أو السلبية والتي تخرج خلال الحديث عن هذه التجارب (الشربيني، 2012).

الوصول للفئة المستهدفة

من المهم القول بأني كباحثة كنت محظوظة بمساعدة زوجي لي في مقابلة بعض العمال، كونه يعمل مقاولا وسبق وعمل في إسرائيل ولديه العديد من العلاقات التي تربطه بالعمال، الأمر الذي سهل مقابلة البعض منهم، أجريت جزء من المقابلات كان بشكل ارتجالي وتم توقيف بعض العمال الذين تم أخذ موافقتهم لإجراء المقابلة، وتمت المقابلة قبل الوصول إلى الحاجز بحوالي 3 متر، وذلك لعدم تعرضهم للخطر الناتج عن اشتباك مع الإحتلال أو تعرضهم لإطلاق النار، وبالطبع هذه المقابلات التي تمت على الحاجز(في الشارع) لم تكن مريحة كما يجب، ولكن اتسمت بالعفوية من خلالها كان يظهر المبحوث المشاعر والمعاناة اليومية بصورتها الحقيقة، استمرت المقابلات إلى ساعة تقريبا علما بأنها ليست كافية ومعمقة كما يجب، وكان عددها 4 مقابلات، أما المقابلات الأخرى فكانت مدتها تصل إلى ساعتين ونصف نظرا لكون هذه المقابلات تمت في بيوت المبحوثات وعددهن 6 مقابلات، بالإضافة لما تبقى من المقابلات كانت عن طريق (الواتس آب) وعددها 5 مقابلات، علما بأنه تم اخذ الموافقة من جميع المشاركين والمشاركات قبل البدء في المقابلات والسماح منهم بأن يتم تسجيلها، ولكن دون الافصاح عن هوية كل منهم لضمان خصوصيتهم، وهذه الاجراءات تعد من أخلاقيات البحث التي ركزت كباحثة، و وجزء آخر تم الترتيب معهم لإجراء المقابلة من خلال تطبيق (الواتس آب) كونهم يعملون في الداخل المحتل ويبيتون لأسابيع في الورشات وعددهم 5 مقابلات، وأما النساء فكانت جميعها مقابلات وجاهية، وعددها 6 مقابلات، وذلك لإعطائهن المساحة والحديث بأريحية وخصوصية، وجميع هذه المقابلات التي كانت في أماكن

مغلقة استمرت نحو ساعتين ونصف، وكانت معمقة وغنية وتتسم بالأريحية، وبالتحديد المقابلات مع النساء، لأن هذه الفئة بحاجة لرفع أصواتهن، إذ يسعى علم النفس المجتمعي إلى التغيير وإعطاء فرصة للمقهورين والمضطهدين والمهمشين وخاصة النساء اللواتي يعملن في الداخل المحتل واللواتي لا يتم سماع أصواتهم بالرغم من تعرضهم لمعاناة يومية كبيرة أثناء توجهن لعملهن وخلال عملهن.

طريقة تحليل البيانات

تم تحليل البيانات التي تم جمعها استناداً إلى قواعد النظرية المتجذرة وخطواتها(Grounded Theory)، في البحث الكيفي، حيث تم تشكيل تصنيفات أولية من خلال الوقوف على النقاط المشتركة التي تم الحصول عليها من المبحوثين، ثم القيام بدمج المواضيع ذات المعنى المشترك كخطوة في عملية التحليل الكيفي للبيانات (مكاوي، 2009). ومن خلال البيانات التي تم جمعها من المبحوثين، توصلت الباحثة إلى محاور (Themes) أو مفاهيم نظرية.

بداية قمت كباحثة بتسجيل جميع المقابلات صوتياً، تراوحت مدة المقابلة ما بين الساعة إلى ساعتين ونصف لكل مشارك، حيث تم التعمق خلالها في تجربة كل من المبحوثين باستخدام الأسئلة المفتوحة (أنظر الملحق رقم 2). وجرى تفريغها من خلال كتابة كل المعلومات التي ذكرت في التسجيل الصوتي، وبلغة المبحوثين أنفسهم كما ذكروها في التسجيل الصوتي.

ثم قامت الباحثة بتحليل كل مقابلة على حدة، والوقوف على القضايا المتكررة في تجربة كل مشارك. وقد تمت عملية التحليل من خلال ثلاثة مستويات طرحتها النظرية المتجذرة وهي:

الأول: الترميز المفتوح، بعد تفريغ البيانات التي تم جمعها من المبحوثين، ثم قراءة البيانات بتركيز من قبل الباحث للوقوف على مدى التشابه والاختلاف فيما طرحه المبحوثين، وتمت عملية تصنيف البيانات بشكل أولي من خلال وضعها في مسميات ومفاهيم تعبر عن كلام المبحوثين.

ثانيا: الترميز المحوري، في هذا المحور تمت مقارنة نقاط التقاء البيانات المجمعة وإعادة تنظيم للمحاور، حيث تم دمج المحاور المتشابهة وتصنيفها.

ثالثا: الترميز الانتقائي، في هذه المرحلة تم الاستمرار في عملية دمج ما قامت به الباحثة من تحليل وصياغة، ثم ربطه بالجانب النظري وإدخال معنى نظري يستند على التحليل العميق، والاستمرار في وضع العبارات المتشابهة من المبحوثين تحت المحاور الرئيسة، وكذلك تم وضع العبارات المختلفة تحت المحاور التي تعكس الاختلاف (ستراوس، وكوربين، 1999).

وبناءً على الخطوات التي اتبعتها الباحثة في الانطلاق من الواقع إلى النظرية وبالاستناد إلى مبدأ النظرية المتجذرة، تم التوصل إلى أربعة محاور رئيسة وهي:

المحور الأول: السياق المكاني والشعوري وانعكاسه على الصحة النفسية للعمال والعاملات الفلسطينيون.

المحور الثاني: نمط العمل في السياق الاستعماري وكيفية انعكاسه على مفهوم الهوية.

المحور الثالث: دور الأسرة وانعكاسها على الصحة النفسية للعمال والعاملات.

المحور الرابع: حقوق الإنسان وارتباطه في قضية العمالة الفلسطينية داخل السياق الاستعماري.

وقد عرضت الباحثة هذه المحاور في الفصل الرابع وتحليلها، والاستناد إلى أقوال المبحوثين وتفسيرها وربطها بالجانب النظري والدراسات، وتحليلها للوصول إلى فهم شامل وعميق من خلال صياغة عدد من الاستنتاجات التي بنيت على هذه النتائج.

الفصل الرابع

عرض ومناقشة نتائج الدراسة

المحور الأول: السياق المكاني والشعوري وانعكاسه على الصحة النفسية للعمال والعاملات الفلسطينيين

المحور الأول هو السياق المكاني، الذي ينتمي إليه المشاركون والمشاركات في الدراسة الحالية وهم العمال والعاملات الذين واللواتي تمت مقابلتهم، موزعين جغرافيا على مدينة بيت لحم والقرى والمخيمات المحيطة بها، إن هذا التنوع الجغرافي لا يلغي كونهم ينتمون لمجموعة واحدة عربية فلسطينية، ووجودهم ضمن السياق الفلسطيني هو بحد ذاته يشعرهم بالأمان والقوة والثقة بالنفس والانتماء عدا عن كونهم السكان الأصليين الذين يعتبرون الخبراء ولديهم المعرفة في وطنهم، وهذا يميزهم عن غيرهم، إذ نرى بأن نفسية العمال والعاملات عبروا عن أريحية وإيجابية أكثر إيجابية قبل الوصول للحاجز وداخل الخط الأخضر. وتبين ذلك عندما عبر العامل (ملحم) وقال: " بحس حالي في أمان نفسي قبل ما أوصل الحاجز، وقال (أحمد): " لما بكون في بيت لحم وقبل ما أوصل الشغل الضغط النفسي بكون أخف وبكون مرتاح أكثر" ووافقتهم ناديا في الرأي وقالت: لما أكون في البلد بحس حالي مع حالي يعني بكون مرتاحة نفسيا وما بهكل هم وبكون كل شي بخير".

أما عند الانتقال للحاجز أي قبل الوصول للعمل، بينت النتائج بأن جميع العمال والعاملات يضطرون إلى قطع الحاجز والوصول إلى عملهم، وبالتالي فهم يضطرون للتنقل من السياق البيئي المعروف لهم إلى سياق آخر وهو سياق الإحتلال الذي يؤثر سلبا على الصحة النفسية سواء بممارسات الإحتلال المباشرة أو غير المباشرة التي يتعرضون لها يوميا، إذ يصف العامل (قيس) تجربته على الحاجز ويقول:" تجربتي كعامل في إسرائيل "زي الزفت، وأزمة العمال

مش طبيعية، وحسب مزاج المُجند أو المجُندة مرات بنضل ساعتين واقفين في الأزمة فوق بعض زي "علبة السردين" و بفتحوا "المعاطة" شوي وبسكروها !!!!"، وأصلا كمواطن فلسطيني بحس في معاناة وقلق وتوتر بسبب الحاجز، لدرجة بحس أنه أنا داخل على سجن مش رايح اقطع المحسوم!، ويتقاطع معه (مصطفى) فقال:"بتعرض دائما لتفتيش الجسدي الشديد يعني بتعرض للتصوير الإشعاعي الكامل وبشعر بالذل والقهر والإهانات والتفتيش الشخصي في بعض المرات يصل إلى " شلح ملابسي تماما"!!!..... ويشعر في الذل والقهر غير الإهانة، عدا عن مزاجية الجنود التي تعيق وصولي للعمل في بعض الأوقات".

كما وأكدت (فاتن) وقالت: "بتعرض لشتم من الجنود، الذل والقهر، وخاصة عند نقاط التفتيش، وحجابي كوم ثاني مرات أضطر لخلع الحجاب بسبب التفتيش. بالإضافة للإزدحامات اليومية بحس حالي بدي أنخنق، ومرة من المرات شعرت بالدوخة والتعب، وما حدا سأل فيي".

وأيضا تقاطعت معها (حنان) وقالت: "ضربتني المجندة على معدتي" شو هل إهانة والظلم هادا!، غير الصعوبات على الحاجز من كتر الأزمة والاكتظاظ الشديد تعرضت لكسر في القفص الصدري وما اقدرت اشتغل لمدة 3 أشهر!". وجميع هذه المعطيات تدل على انتهاك سافر لكرامتهم وبالتالي كرامة الانسان. إضافة لذلك عبر العمال والعاملات عن مشاعر الاضطهاد، الظلم والغضب مما يؤثر سلبا على توافقهم النفسي وصحتهم النفسية. لاحظت خلال حديثي مع كافة المشاركين بأن عبروا بغضب وبنبرة صوت حادة عن ما يعيشونه من واقع أليم وصعب وكيف أن طاقاتهم تهدر في هذا السياق، هذه المشاعر التي عبروا عنها المشاركين ذكرتني بمشاعر الظلم والألم التي اختبرتها عندما كنت أقف على الحاجز لتفتيش

والقهر والغضب في كيفية تعاملهم معنا كشعب فلسطيني وكيف أنهم يسيطرون علينا عند العبور وكيف يغلقون البوابات ونضطر للإنتظار لأوقات طويلة.

لكن اليوم نرى في الحالة الفلسطينية وبالتحديد كما وصفها العمال والعاملات في هذا السياق، من الواضح بأن هذه ليست حربا عادية من ناحية تأثيراتها النفسية فبدل من التكاتف والتماسك كمجموعة واحدة فلسطينية والعمل على توفير الطاقات النفسية، للتغلب على مصاعب الوضع الأمني والسياسي القائم، بمعنى آخر فقدان السيطرة على الحياة والتجارب اليومية التي يتعرضوا لها دفعهم لعدم قدرتهم على مقاومة الإحتلال، وهذا يسهل إحكام الهيمنة النفسية عليهم. ويمكن تفسير ذلك بأن الفلسطينيين يعيشون تحت الإحتلال وتنقلهم بين الحدود وخاصة مع وجود الجيش الإسرائيلي لا يعيق الحركة والتنقل فحسب بل ينتقل إلى أبعد من ذلك ليشمل مفاهيم مرتبط بالأمان النفسي، الفرد الحُر والذي يعيش في بيئة آمنة يتطور لديه أمان نفسي منطقي أي يعيش حياته بلا قيود فيستيقظ صباحا في ساعة محددة ويذهب لعمله في وقت معين ويعود بعدها للبيت ليرى أهله وأصدقائه وهذا يفعل ما يشاء دون أي عراقيل أو صعوبات، بينما الفرد الفلسطيني وبالتحديد العمال يفقدون هذا الأمان لأنه ليس بإمكانهم الخروج من البيت بوقت طبيعي فنجدهم يخرجون في وقت مبكر جدا، أي من المحتمل أن يفرض الإحتلال إغلاق الحاجز ومنعهم من الوصول للعمل لهذا يحتاجون الكثير من التخطيط الجاد الذي ربما لا ينجح، لأن تحكم الفرد الفلسطيني بظروفه وتصرفاته محدود جداً و مرتبط بالمزاج الإحتلالي، عدا عن كونه يهدد مفاهيم الأمن الذاتي والبيئي، ومن ضمنه عدم الثقة بالآخرين. وفي مثل هذه الأجواء من عدم الأمان والافتقاد إلى الثقة بالآخرين، لا يمكن تحديد المشاعر لأنها غير

واضحة، لذلك ينصب غضب واستياء العامل الموجه للجندي الإسرائيلي إلى جانب الشعور بعدم الثقة بالبيئة المحيطة، للأشخاص المقربين منهم كالزوجة أو الأبناء أو المحيط الاجتماعي الذي يتفاعل معه العامل لعدم قدرته من تفريغ غضبه بالجندي أو صاحب العمل، لذلك نلاحظ بأن الإحتلال الإسرائيلي أدخل العمال في صراع مع أنفسهم، من جهة يريد العامل الحفاظ على لقمة عيش عائلته، ومن جهة أخرى يريد الحفاظ على كرامته من دون إذلال. ولكن الظروف المعيشية الصعبة دفعت العمال والعاملات إلى التعرض للذل والإهانة من أجل توفير لقمة العيش لأسرهم (المركز الفلسطيني للإرشاد، 2016). وهذا ما أكده (البرعاوي، 2016) إذ وصف معاناة العمال والعاملات على حدٍ سواء متمثلة بساعات الانتظار الطويلة على الحاجز بالرغم من الظروف الجوية السيئة سواء الحارة أو الباردة من التفتيش، وهذا ينسجم مع ما عبر عنه أغلب العمال والعاملات الذين واللواتي تمت مقابلتهم موضحين أنهم يخرجون إلى عملهم منذ الساعة الرابعة فجراً ليتمكنوا من الوصول إلى أماكن عملهم في الوقت المحدد، وكيف يستخدم الإحتلال الصهيوني مختلف الوسائل والممارسات التي تنتهك حقوقهم وحريتهم ليجدوا أنفسهم ضمن واقع تسوده الظروف الضاغطة والقاهرة التي تهدد كيانه النفسي والجسدي كنتيجة للممارسات الإحتلالية القهرية وغير إنسانية. وبالتالي يشعر المواطن الفلسطيني بغياب أبسط حقوقه وحاجاته الإنسانية كحرية التنقل والحركة والمعاملة بكرامة. ونظرا لعدم القدرة على تغيير هذا السياق الاستعماري الجائر واستعادة الحق والحرية نتجت عنها مشاعر قهرية سلبية كالشعور بالذُل والإهانة لدى العمال/ت (البرعاوي، 2016).

أما السياق الثالث فهو داخل الخط الأخضر أي داخل العمل، بينت نتائج الدراسة الحالية بأن الأغلبية من العمال والعاملات يتعرضون لبيئة خالية من الأمن والأمان خاصة بأنهم في بيئة مختلفة عن بيئتهم فيشعرون في الوحدة والخوف والتوتر والغضب والعصبية بالإضافة إلى الإحساس بالدونية، والاغتراب النفسي كونهم متواجدين ضمن السياق الاستعماري عدا عن كونهم لا ينتمون إلى المجموعة الموجودين فيها، بالرغم من كون العمال و العاملات جماعة يشتركون في تجارب مشابه لبعضهم إلا أنها تجارب منفصلة وفردية وهذا يؤثر سلبا عليهم، فنلاحظ بأن (أيوب) عبر عن تجربته وقال: أصعب الأوقات التي مررت فيها لما كنت بعيد عن عيلتي وقت الكورونا، وقت التسكير، كنت أخاف أروح على الدار عشان ما أنقل أي فيروس لعيلتي، وكمان عشان الإغلاق، كنت أشعر بالوحدة والغربة، والاشتياق لعيلتي وأهلي والبلد!

ولعل من الممكن تفسير ذلك بأن العنف الجسدي واللفظي، والتمييز العنصري، والشتائم، والإهانات، والإحساس بالدونية، والاستغلال، كما وصفها (فانون، 1963) "سيكولوجية الاستعمار" فإن مناهج المُستعمِر المطبقة على الشعب من تعذيب، قهر، تهميش وحرمان، هو ناتج عن هوايات المُستعمَر التي ترتكز على محورين هما تعديل الحاجيات وحجم الرغبات. هذا ما يفرض أن يكون الموضوع نفسيا أو رمزيا، الشيء الذي يجعل المُستعمِر يعير اهتماما للمادة فيلوح إلى سياسة التجويع " أي الحرمان" كوسيلة نفسية للقهر وللتعذيب. لم يستعمل المُستعمِر سياسة الحرمان لوحدها بل أوجد ما أسماه بسياسة "إشباع الرغبات" التي طبقها. وفي ذات السياق عبرت (ناديا) عن تجربتها وقالت:" مسؤول الموظفين بعاملنا في طريقة لئيمة

وبصرخ علينا، طبعا هاد شعور سيء كتير، لدرجة ما بقدر اعبر!، وبحسسونا أن هم أحسن منا، وإحنا من طبقة أقل"، ويمكن تفسير ذلك بالعودة لفانون، إذ يؤكد تشابه الميكانيزمات الدفاعية النفسية في وضعيات التهميش، والاستغلال، والاستعمار، والتمييز العنصري، وكذلك بين العلاقة طبيب عقلي– مريض. لأن الموضوع المشترك هنا هو موضوع التعرف على الذات في ديناميكية التكوين المعقد لهوية الذات، والذي يختلف عن موضوع التعرف على الآخر. تحول هذا الفرق إلى علاقة غير متساوية وغير متناسبة، هي علاقة التبعية وسلب الحرية كسياق يكسب الفرد الشعور بالاغتراب (Goussot, 2012). وأيضا فسر فانون ذلك بأن المُستعمِر تكون لديه عقدة التفوق والإعلاء التي تؤدي به إلى السيطرة، واسندت ذلك إلى كون هذه العقد لها خاصية ثقافية يتميز بها كل مجتمع، حيث فسر فانون التمييز العنصري المسلط من قبل المُستعمِر لزرع التفرقة بين الثقافات، وخلق الطوائف، والقبائل، وتعقيد الاتصال بينها، أو كما يسميه في "منطلق الأبرتهايد". وإن الاستعمار لا يترك للمواطنين سوى فرصتين وهما الشعور بالنقص أو الحرية.

أكد (ابو العز) أيضا على أن الاستغلال كان واضحا من قبل صاحب العمل عندما قال: "في كتير استغلال واحتيال من قبل المشغلين اليهود، أنا بشعر في تمييز بين العمال اليهود والعمال الفلسطينيين لأنه إحنا كعمال منشتغل بشكل منتظم"، وكمان بتعرض للتهديد من قبل المشغل اليهودي". هنا تظهر بوضوح غياب العدالة الاجتماعية والاستغلال المرتبط بالتمييز العنصري تجاه العمال/ت الفلسطينيون يكون له الأثر السلبي المتمثل بسياسة التمييز في بيئة العمل و احتساب معدل و قيمة الدخل ما بين العامل الاسرائيلي والعامل العربي ولعل هذه النتيجة تتفق

مع ما جاءت به دراسة (إبراهيم، 2010)، بأن فتح المجال للعمالة الفلسطينية داخل المستوطنات والورشات يترتب عليها آثار سلبية منها رخص الأيدي العاملة الفلسطينية رغم ارتفاع أجورها مقارنة مع العمل في الضفة الغربية، إلا أنها تعتبر رخيصة إذا ما قورنت بالأيدي العاملة الإسرائيلية وبالتالي يظهر التأثير الواضح الذي ألحقه الاستيطان بالأيدي العاملة الفلسطينية على أهل الضفة، فالعمال انقضوا للعمل داخل الورشات والمستوطنات الاسرائيلية والسبب يعود إلى أن إسرائيل استخدمت سياسة ذكية تمثلت برفع أجار العامل الفلسطيني داخل المستوطنات مقارنة بأجره في الضفة الغربية والهدف من وراء هذه السياسة اضعاف وتقويض أركان التنمية داخل فلسطين من خلال التحكم بأهم عناصرها المتمثلة بالأرض والإنسان.

ومن إحدى أقوى الافتراضات التي تناقش مفهوم التعرض للصدمة في السياقات غير الغربية، قضية الافتراض بأن تجارب الإحتلال تؤدي إلى إرهاق الأفراد على المستوى النفسي، الأمر الذي يؤدي للبؤس والضيق الناجم عن المشاكل النفسية. حيث أن مجمل الافتراضات ترى بأن الحدث الصادم يتمركز حول الفرد واعتباره الوحدة الأساسية للدراسة والتحليل، في هذه الحالة يتم التركيز على التشابه وليس الاختلاف والتنوع، وهذا بدوره يشكل صعوبة فهم الكيفية التي تؤثر بها الحروب على الأفراد وتجعل من الأحداث المفردة وحدة للتحليل بدلا من العمليات والأبعاد التاريخية والثقافية التي تحكم طريقة الاستجابة على الأحداث العنيفة بمرور الوقت (Summerfield، 2001). تم تأسيس مفهوم الصدمة واضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) عند التقاطع بين الخطاب النفسي وخطاب حقوق الإنسان، والتي تنتمي إلى المجالين العلمي

والأخلاقي، إذ أدى هذا التقاطع ولادة الطب النفسي الإنساني، وتم ممارسته فلسطين المُحتلة، هذا بدوره أدخل تعريفات جديدة إلى ساحة المعاناة الناشئة عن الأحداث العنيفة التي يتعرض لها الأفراد والجماعات، يناقش (Summerfield، 2001) بأن اضطراب ما بعد الصدمة هو اختراع وليس اكتشافًا للتشخيص النفسي الموضوعي وأنه إرث من حرب الولايات المتحدة في فيتنام. إذ روج له من خلال النشطاء المناهضون للحرب كشكل من أشكال رعاية المحاربين القدامى كونهم ضحية وضمان "الاعتراف بهم" نتيجة لذلك، أصبح الخلط بين المعاناة والصدمة متجنسًا ومرتبط في التركيبات الاجتماعية لعلم نفس الشخصية، ويؤثر نمط الشخصية التي تنتجها الصدمة على ما يشعر ويفكر ويتوقع ويفعله الفرد. علاوة على ذلك، وهنا نصل إلى نتيجة لكثرة ما يتعرض له جماعة العمال من الصعوبات اليومية والاضطهاد والتهميش في الأنساق المكانية التي يتفاعلون بها فإن ذلك يخلق لديهم اضطرابات وصدمات وبالتالي بالعودة إلى اضطراب ما بعد الصدمة يحول الألم إلى مشكلة فنية وهنا يبحث (طلال أسد، 2003) في "الإنسان" الذي تفترضه حقوق الإنسان. وهو يؤكد أن ذاتية الإنسان لحقوق الإنسان متوافقة مع ثقافة المعايير وأنماط الحياة الغربية التي تتضمن مواقف خاصة تجاه الجسد البشري والألم المناهض للاستعمار والتبني غير النقدي لمفهوم ولغة الصدمة. إن تمثيل تجارب العنف الفلسطينية تحتوي على خطر نزع الطابع السياسي والتخلي عن سياق مسائل العدالة الاجتماعية والإحتلال ونزع الملكية. توضح العديد من الدراسات كيف يتم تجنيس عملية إزالة السياق هذه من خلال التركيز على الصدمة كتجربة فردية. على سبيل المثال، تناولت الدراسة التي أجراها الكريناوي وجراهام وسحويل (2004) عواقب العنف السياسي في فلسطين منذ انتفاضة الأقصى

الأولى من خلال التركيز على طبيعة الخسارة واضطراب ما بعد الصدمة والتأثير على عمل الأسرة والطبيعة السياسية والجماعية للصدمة من خلال تركيزها على الصدمات بأنها تساوي تجارب جميع ضحايا العنف الفلسطينيين والإسرائيليين. إنها تبني التجارب الفلسطينية الإسرائيلية على أنها متناظرة مع عدم وجود ضحايا جيدين أو سيئين. وبذلك ينتج عنه آثار سياسية تقلل الصدمة إلى المعاناة النفسية الفردية حتى لو تمت مناقشة العنف العائلي والجماعي والسياسي إذ يتم إخفاء تاريخ الاستعمار والتأثير المستمر لعلاقات القوة، والذي بدوره يعكس هذا المصطلح عمل اللاتسييس المتأصل في خطاب الصدمة.

يمكن هنا ربط هذا المحور في نظرية كيلي الأيكولوجية، ذلك لأن هذا المحور ظهر فيه ثلاثة سياقات يتنقل بينها العمال والعاملات، ولاحظت كيف أن العمال كان لديهم تكيف وتأقلم بشكل إيجابي عندما كانوا في السياق الفلسطيني، وهو السياق الذي يضم نفس اللغة والثقافة ولديهم معرفة وإلمام به وبالمواد الموجودة وبالعلاقات الاجتماعية المختلفة، ولا يحتاجون إلى اكتساب مهارات أو تكتيكات جديدة في هذا السياق، بينما عندما انتقلوا إلى السياقات الأخرى وهي سياق الحاجز وداخل الخط الأخضر فإنهم ينخرطون في نظام الإحتلال الذي بحاجة لتعلم تكتيكات وطرق بديلة لتمكنهم من التأقلم سواء تعلم اللغة سواء التعرف على كافة السياسات والقوانين الموجودة. وكيف أن العلاقات تختلف من علاقات إيجابية لعلاقة أخرى كالسيطرة والتحكم والهيمنة.

المحور الثاني: نمط العمل في إسرائيل وكيفية انعكاسه على مفهوم الهوية

1- اغتراب الهوية

أظهرت نتائج الدراسة أن الأقلية من العمال عبَّروا عن اغتراب الهوية كونهم يتفاعلون ضمن أكثر من سياق، المتمثل في كونهم جزء من السياق الفلسطيني، ويعملون داخل السياق الاستعماري/ الخط الأخضر، هذا عزز لديهم ما يسمى في إحساس اغتراب الهوية، والمقصود بها عندما تنقسم الذات على نفسها بين ما هو كائن، وما ينبغي أن يكون بسبب الاستبداد والظلم والاضطهاد والقمع والحصار الواقع عليها، بالشكل التي تعجز جماعة معينة عن تغيير الواقع الموجودة فيه، لا تمارس حريتها، وبالتالي تفقد وجودها، كما هو حال العمال بسبب عدم قدرتهم على العودة لبيتهم نتيجة الإغلاق الأمني أو اضطرارهم للمبيت في أماكن عملهم. واتضح ذلك عندما قال (أبو العز): "بحس حالي مربوط معهم يعني لما يكون عندهم عيد مجبور أعيد، وكتير مرات بنام في الورشة بحس حالي بعيد عن وطني مع انه في وطني أنا بس للأسف ما بقدر أعيش فيه زي البشر !! صرت أحفظ أيام العطل والإجازات وأتبع كل هل أمور!، حتى تعلمت لغتهم، مرات بحس في شعور غريب لما أكون في الشغل لانه كل إشي غريب عني كفلسطيني الثقافة واللغة والقوانين وغيرها"!.

لاحظت بأن "أبو العز" عبر عن اغتراب هويته، وكأنه يقول بأنه الإحساس الذي يبعده عن وطنه وثقافته وأرضه وكأنه إحساس يفصله عن هويته الوطنية والاجتماعية، وبالتالي يخلق لديه صراعات نفسية وتجربه على إدخال ثقافة وإجباره على التأقلم معها، والانسحاب من ثقافته.

ويتشابه ذلك مع ما تقوله ناديا: "إضطريت أتعلم اللغة العبرية عشان أقدر أتواصل مع صاحب العمل وزملائي، ومرات صرت أستخدم كلمات عبرية! بحس في شعور غريب زي الضايعة!، وبنسى كلمات في اللغة العربية"!. وهذا يدل على اغتراب العامل كونه يعمل لخدمة غيره وتحت سيطرته بالرغم من معرفته أن صاحب العمل هو عدوه وليس صديقه لكنه ملزم بالتعامل معه بأدب واحترام خوفا من أن يخسر عمله ومصدر رزقه. عودة لهيغل، يرتبط مفهوم الاغتراب كونه حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على منتوجاته وممتلكاته، ويتم توظيفها لصالح غيره. وكما حول ماركس مفهوم الاغتراب من مفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي اقتصادي؛ إذ اتبع هيغل منهج الاقتصاد السياسي، ليبين أن الاغتراب حالة عامة في المجتمعات الرأسمالية التي حولت العامل إلى كائن عاجز وسلعة بعد أن اكتسبت منتجاته قوة مستقلة عنه، ومعادية له، فهنا نرى اغتراب العامل في علاقاته بمنتجاته، والعامل لا يملك سوى قوة العمل والتي تقوده إلى اغترابه عن عمله، بالذات في المجتمعات الرأسمالية، فهو غير مبدع والعمل ليس اختياريّاً وهدفه سد الحاجات اليومية (أحمد، 2020). في هذه الدراسة ظهر ذلك عندما قال (أحمد): "الشي الصعب أنه أنا كل حجر ببني بتمنى ينهد، عم بعمللهم في مستعمراتهم لحتى يعيشوا حياة حلوة !، طيب أنا كمان إنسان، وهذه أرضي ووطني!"، يدل ذلك على اغتراب العامل في المجتمع الرأسمالي عن الطبيعة التي هو جزء منها وبأن أحمد يبني البيوت على أرض يوما ما كانت له ولأجداده، ولكن اليوم مصادرة وهو لا يستطيع البناء فيها أو حراثتها.

2- صراع الهوية الوطنية الفلسطينية

أظهرت النتائج أيضا بأن بعض العمال والعاملات تبين لديهم صراع الهوية الوطنية عندما تحدثوا عن تجاربهم، عبر قيس وقال: "طيب ما هي أرضنا وبلدنا ليش إحنا بتعامل معنا هيك، ما هي دولتنا ليش بطلعلهم كل هل الإمتيازات والحرية والترفيه وإحنا لاء"!!. لأي متى راح نضل هيك ونعاني في بلدنا!.... مش راح أحكي غير الله يعينا ويساعدنا !!!.. الظروف أجبرتني أطلع أشتغل وأضطريت عشان أقدر أوفر لقمة العيش إلي ولعيلتي، ويكون عندي دخل منيح أقدر أعيش منه، حيث قالت فاتن: "هويتي الفلسطينية، هي إثبات وجود إلي ولقضيتي وبلدي ووطني فلسطين، وهادا إلى بخليني أتمسك في شغلي لأنه أنا في بلدي، بالرغم من كل إشي متعب، إلى بخليني أصمد هو أنه أنا بشتغلي في بلدي". ويشاركها الرأي أبو العز ويقول: " أنا بفتخر أنه بطلع على قدس كل يوم حتى لو ما بدي أشتغل معهم وعندهم بس أنا فلسطيني وراح أضل فلسطيني، وهاي أرضنا حتى لو محرومين منها"!!. أما عزيز فتقاطع مع قيس وقال: "بتعرفي الي بخليني اطلع اشتغل في القدس عشان هاي أرضنا، بالرغم من أنه بكون أتمنى انه تنهد العمارة فيهم، ويموتوا"، لاحظت هنا كيف أن العمال عبروا عن أنفسهم بهويتهم الفلسيطينية والتي هي تعبير عن رؤية لإنسان لذاته ووجوده وعلاقته ومكانه مهما انتقل من بيئة إلى أخرى، واعترافه بهويته هو إثبات للاحتلال بأننا كفلسطينيين مهما حاول الإحتلال تغيير المعالم الموجودة في القدس مازلت الهوية العربية الفلسطينية الجماعية موجودة.

ويمكن تفسير الهوية من منظور ماركسي مرتبط بالطبقة وهي التعبير الأهم للهوية، وصراع الطبقات هو المحدد الأساسي في التاريخ. إن تحديد الهويّة المميزة لأي شعب هي دائما واحدة من أكثر المواضيع تعقيدا والتي تواجه ذلك الشعب، وبخاصة مع وجود عدد من العوامل المهددة لهذه الهوية. إلا أن أكبر عامل تهديد للهوية الوطنية الفلسطينية هو الاستعمار الإسرائيلي بكل ما يحمله من قمع واستبداد لنفي هوية الشعب الفلسطيني كشعب أصلاني يعيش في وطنه وعلى أرضه. والهوية الوطنية الفلسطينية واجهت وتواجه هزات كبيرة تؤثّر على تشكيلتها والدور المنوط بها في كل مرحلة. إنّ فهم الهوية الوطنية لهذا الشعب يساعد على فهم احتياجاته ومتطلباته وتعزيز ارتباطه بالمكان والزمان الذي يعيشه. ولعل إدراك الفلسطيني لهويته، ما يجعله يشعر أن حقه المستلب هو حق لكل الشعب الفلسطيني، حيث إن القضية لا تنحصر بخسارته على المستوى الشخصي، فاغتصاب الأرض واغتيال الأفراد، ليس إلا جزءا من خسارته هو، كونه يدرك أنه يشترك في هذه القضية مع غيره من الأفراد. وكما يرى (كناعنة، 2008)، الهوية ليست شيئا ملموسا، ويمكن تعريفه بأبعاد وصفات واضحة، فالهوية تتمثل في الكيفية التي يعرف بها الفرد ذاته، لكن في سياق آخر، فالذات لا تعرف في لا شيء، إنما لا بد وأن ينتمي الإنسان لما يحيط به، بمعنى أن ينسب نفسه إلى باقي العالم وعلى نحو خاص لبني الإنسان، فالهوية هي صورة الفرد عن موقعه على خريطة العالم.

وهنا يمكن القول بأنه لا يمكن عزل الهوية عن السياق العالمي والحقبة التاريخية التي نمر بها اليوم وهي "الحداثة". فالحداثة هي عملية تغريب. بالرغم من وجود أعمال تحمل بصمات

حضارات معينة، إلا أن كل شيء يولد في عصرنا، من أدوات معرفة أو نمط حياة ما هو إلا على صورة الغرب. لكن الإنسان الذي ولد في داخل الحضارة الغربية لا يعيش نفس الطريقة كما الإنسان الذي ولد خارجها، حيث يمكن للإنسان في الحالة الأولى أن يتقدم في الحياة ويتكيف دون أن يتوقف عن ممارسة ذاته وهويته، أما في الحالة الثانية تحتم الحداثة على الإنسان التخلي عن جزء من ذاته حتى لو كان متحمساً له، وهذا يخلق لديه شعور بالإهانة والتنمر للذات، وبالتالي أزمة هوية (معلوف، 1999). التوجه نحو الحداثة ينطبق أيضا على البنية الاجتماعية الاستعمارية وتؤثر بالضرورة على مؤسسات التربية والتعليم، حيث تنتهج تلك المؤسسات في عملها ذات النهج الحداثي في نقل الخرافات عن المُستعمَر، تلك المؤسسات لا توجد بشكل مجرد بل ضمن سياق زماني ومكاني، التي تهدف بتجريد المُستعمَر من إنسانيته وتخلق أزمة وجودية ونفسية لديه (فريري، 1980).

3- الجلد والصمود

أظهرت النتائج بأن معظم العمال والعاملات تشكل لديهم جلد وصمود خلال عملهم داخل السياق الاستعماري، إذ تبين ذلك عندما اختلف رأي ناديا عن كل من العمال (قيس) والعامل (عزيز) وقالت: "أصلا هذا وطنا وهذه أرضنا وين نروح؟! بالنسبة إلي هاد نضال وطني مش بس بناضل عشان لقمة العيش"!. وكلامها هذا كان دالا على إيمانها القوي بهويتها الوطنية الفلسطينية ونرى بأن عملها عزز لديها الدافع والإصرار والتمسك بهويتها الوطنية الفلسطينية، وهي لا تعمل فقط من أجل لقمة العيش بل بالنسبة لها نضال وصمود. أما العامل (مصطفى) عبر وقال: "أنا كفلسطيني بحب بلدي وكمان إشي مهم اقدر اطلع على القدس هاي مش

إسرائيل هاي بلدنا ووطنا ومن حقي أنه اتمسك في شغلي على الأقل بطلع على المسجد وبصلي في وطني وبلدي". ونلاحظ هنا بأن المشاركة في العمل النضالي من جانب آخر يعمل على تعزيز الإحساس بكون الشخص ينتمي لهوية، هي في نظره تحمل طابعا مميزا، حيث إنها تعطيه القوة في الخروج للمطالبة بحقه". وأيضا قال مصطفى هذه العبارة ليظهر مدى تمسكه في أرضه مهما تعرض لاضطهاد وتهميش وقمع من قبل الإحتلال الإسرائيلي، وهو سوف يدافع عن أرضه مهما كلفه الأمر لأنها من حقه.

أما (فدوى): "هاد بالنسبة إلي مقاومة للاحتلال وأنه احنا هون وإحنا بنقدر ندافع عن وطنا في معرفتا وصبرنا وقتنا إنه إحنا موجودين حتى لومنعونا نطلع على القدس بس بعتبر شغلي هادا هو نضال وراح أضل أناضل عشان أقدر أعيش وأحسن من حالي وظروفي". أما (أبو العز) قال: "الله وكيلك إلي بخليني أضل وأستمر أنه ما بقدر أترك القدس وأرضها! وأرجع أشتغل في الضفة لانه كمان إذا احنا كفلسطينيين ما حمينا القدس !! شو ضل نعمل! وأنا بعتبر كل يوم أطلع على القدس وأشتغل في إسرائيل هيك على الأقل بعمل إشي منيح وبقدر أضل موجود إحنا موجودين عشان نحمي بلدنا ووطنا". وأيضا عبرت (حنان) وقالت: "احنا كفلسطينيين قادرين أنه نوقف في وجه المحُتل ونحارب بكافة الطرق مش بس في الحجر بل في أنه نقدر نوصل للقدس مش إسرائيل هذه أرضنا وإلنا". أما (محلم) قال: "حياتني كلها ذل وتعب وقهر!، يعني الشغلة إلي بتصبرني أنا مش لحالي باقي العمال معي كمان بعانوا متلي !! يعني قضية جماعية مش فردية فهل اشي بهون شوي علي!، والواحد مش سهل عليه يشوف

محتلين في ارضه، شو نعمل منا نتحمل، بالرغم من المعاملة السيئة على الحاجز، والساعات الطويلة بكافة الظروف سيئة، و معاملة الجنود بحقارة و عنف، الا اننا نصمد و نستمر"

نستنتج هنا من كلام المبحوثين بأن كلا منهم عبر عن الصمود بطريقته المختلفة، فالصمود برأي (فدوى) كان من خلال الاستمرار في عملها، أما الآخروين فقد أكدوا على استمرارهم وصمودهم بالرغم من قلة الموارد والإمكانيات للدفاع عن وطنهم وبصمودهم يستطيعون حماية بلدهم ووطنهم.

عودة لعلم النفس المجتمعي يفسر الجَّلد (Resilience) بأنه هو البداية الأساسية لإعادة التأهيل والخروج من الخبرات المؤلمة والتجارب الصعبة والأزمات، فعلى الرغم من المخاطر الحياتية، إلا أنها تستمر ويجب أن نتعامل معها كأفراد، ولكن بالطبع هناك مشكلات غير محدودة، منها ما يمكن تفسيره وحله بشكل علمي أو طبي، ومنها ما يحتاج إلى علاج نفسي. عند التعامل مع مجتمع معين، لا بد من الإشارة للأفراد المكنونين لهذا المجتمع Friedli, (2009). في عام 1978، اعتمدت منظمة التحرير الفلسطينية "الصمود" كوسيلة لمساعدة الأفراد والجماعات على الصمود في فلسطين. وهكذا أصبح "الصمود" مفهوماً وطنياً أساسياً واستراتيجية للفلسطينيين من أجل منع سياسة الاقتلاع والحفاظ على الهوية واستعادة الكرامة في النضال من أجل الحرية الوطنية. بالإضافة إلى ذلك، يرتبط الفلسطينيون ارتباطًا وثيقًا بوطنهم، الذي يعد جزءًا لا يتجزأ من حياتهم. "الصمود" هو فن العيش من أجل البقاء والازدهار في الوطن رغم المشقة وممارسات الإحتلال. هذه المهارات الخاصة بكيفية العيش تُعلم جميع جوانب الحياة، بما في ذلك الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. كما يمكن استخدامها

على عدة مستويات: الفردية والعائلية وداخل المجتمع الفلسطيني. تم تقسيم "الصمود" إلى نوعين: الموارد الملموسة مثل البنية التحتية التي تدعم الاحتياجات الأساسية (مثل المدارس والمستشفيات)، والموارد غير الملموسة التي تشمل النظم العقائدية والدين والدعم الاجتماعي والأسري لمساعدة الفلسطينيين على التكيف مع معاناتهم الجماعية اليومية المزمنة. حيث إن الصمود الثابت هو الذي يركز في الحفاظ على الحياة ومواجهة المحن، أما الصمود الديناميكي، هو شكل من أشكال الدفاع السياسي الشخصي والجماعي والمقاومة ضد ممارسات الإحتلال العنيفة (ماري، 2011).

قصد ملحم بأنها "قضية جماعية مش فردية"، بأن الإحساس بالهوية الجمعية يحمي الأفراد المنتمين إليها من الاضطهاد والتمييز على المستوى الجماعي، ويعد مصدرا يحمي الصحة النفسية لديهم.

4- التمكين

من اللافت للنظر أن النتائج قد بينت وجود بعض العاملات اللواتي أصبحن أكثر تمكينًا خلال عملهن داخل السياق الاستعماري، إذ عبرت (فدوى) عن تجربتها فقالت:" تجربتي هذه خلتني أفكر قديش أنا قوية وبقدر أعمل أشياء ما كنت متوقعتها من حالي. وبالتالي رأينا فدوى كيف عبرت عن تجربتها بالشكل الايجابي حيث إن تجربتها أعطتها فرصة لتمكينها ورفع قدراتها على مواجه الصعوبات والتحديات التي تواجهها خلال تجربتها الجديدة بالعمل ضمن السياق الاستعماري، وهذا يدل على النظرة الإيجابية وقوة شخصيتها كامرأة مكافحة قادرة على الاستمرار في عملها من أجل الوصول لهدفها والاستمرار في العمل لتحسين من وضعها الاقتصادي

ولدعم زوجها وعائلتها، وأيضا استنتجت بأن فدوى تشعر بالفخر بذاتها لما قامت به خلال تجربتها وخاصة بأنها لم تتعرض من قبل لمثل هذه التجارب. أما المشاركة (حنان) فتشابهت تجربتها مع تجربة (فدوى) وقالت: "الشغل قوة شخصيتي، وغير نفسيتي بشكل إيجابي يعني أنا قوية وبقدر أعتمد على نفسي". تقاطعت تجربة المشاركة حنان مع تجربة المشاركة فدوى حول نظرتها لذاتها وكيف أن هذه التجربة انعكست ايجابيا عليها أيضا، بالعودة لعلم النفس المجتمعي يمكن ربط ذلك في (نظرية التمكين / Empowerment Theory) لرابابورت وكما رأينا في كلا من الحالتين (لفدوى وحنان) نتيجة لتلقيهن الدعم الاجتماعي من عائلاتهن، هذا عمل على تقوية شخصيتهن ليصبحن قادرات على مواجهة الصعوبات والتحديات التي تواجههن بالشكل الذي يسهل عليهن النظر إلى الصعوبات من جميع النواحي لإيجاد حلول تساعدهن في التقدم والتطور والمكافحة من أجل البقاء والتحرر (Wilkinson,1998).

بالإضافة لذلك، انخراط النساء في سوق العمل أدى إلى توسيع خيارتهن، بالنسبة لكل من حنان وفدوى فقد زاد من مصادرهن المادية بحصولهن على المال، وطور من مصادرهن الاجتماعية عن طريق التعامل مع الناس الآخرين واكتساب مهارات اجتماعية، بالإضافة إلى دورهن في اتخاذ القرار للعمل في الداخل المُحتل، وهذا كان واضحا لكل من فدوى وحنان، بأن أزوجهن لم يكونوا قادرين على تحسين الدخل بسبب الظروف الصعبة وبالتالي ساعدن أزواجهن في الانفاق على عائلاتهن، عدا عن أن دورهن برز في تعاملهن ومواجهتهن المُحتل واستخدام استراتيجيات المنع الصهيونية حيث أنهن لم يستسلمن عندما قام جيش الإحتلال في

توقيفهن على الحاجز وعدم السماح لهن بالعبور، عدا عن أنهن استطعن تعليم أبنائهن وعملوا على نهضة عائلاتهن.

وبناءً على ما تم ذكره بأن النساء استطعن اتخاذ القرار للعمل في الداخل المحُتل، ولديهن أكثر من دور دورهن كزوجة وكامرأة وكأم وجميع هذه الأدوار أستطعن من خلالها الإثبات لأنفسهن بأنهن قادرات وقويات، وقادرات على تدبير أمرهن مع المُستعمِر والمُحتل.

أكد علم النفس المجتمعي على دور المجتمع في تعزيز القوة والتي تؤدي لتعزيز التوافق النفسي، بالإضافة لمفهوم التمكين ليكون مؤشر للقوة والسيطرة على موارد المجتمع، وإن التمكين وعمليات التمكين لا تكفي بدون العدالة الاجتماعية وإعادة توزيع الموارد، ويمكن أيضا هنا ربط هذه النتيجة بما يسمى في الرأسمالية الاجتماعية وهي الموارد الجماعية التي تتكون من المشاركة المدنية، والشبكات، والمعايير التبادلية، والتنظيم الذي يعزز الثقة بين الأفراد والعمل على تحسين الصالح العام. فالقوة ومن ضمنها التمكين تعود لكل من العمليات والمخرجات التي تحدث على مستوى مختلف من التحليل، والمقصود هنا أن التمكين هو الحصول على إنتاج أو تمكين الطاقة ويحدث هذا على أربعة مستويات وإن كان على مستوى الأفراد، مستوى المنظمات، مستوى المجتمع على نطاق مصغر، ومستوى المجتمعي أوسع، أما بالنسبة للقوة فهي موجودة في كل مكان بعلاقاتنا الشخصية، العائلة، المؤسسات، الجيران، النقابات ومن خصائص القوة هي القدرة والفرصة لتحقيق أو عرقلة الاحتياجات الشخصية، العلائقية، الجماعية، ويوجد مصادر نفسية، سياسية، مظاهر، عواقب، ونتائج للقوة، التمييز بين القوة التي تسعى لتحقيق التوافق النفسي، قوة الاضطهاد، المقاومة، التي تسعى للتحرر(

Wilkinson,1998). فجاءت الدراسة الحالية للتقاطع مع دراسة (هلال، 2013) "تكتيكات التجاوز والمناورة عند المرأة الفلسطينية في ظل وجود الاستعمار الصهيوني"، من حيث المنطقة الجغرافية إذ ركزت الدراسة على الحياة اليومية لبعض النساء الفلسطينيات اللواتي يسكن في منطقة بيت لحم المعزولة بالجدار والحواجز ويعبرن في الخفاء إلى مدينة القدس المحتلة للوصول لأماكن عملهن في الدرجة الأولى، وأيضا ركزت الدراسة على الجوانب النفسية والجسمانية.

5- **التكيف**

بينت نتائج الدراسة الحالية التكيف لدى بعضا من العمال والعاملات، وهنا نرى العامل (يزن) كيف تكيف في عمله داخل السياق الفلسطيني إذ عبر وقال: "بشتغل في ظروف عمل ليست مثالية لكنها جيدة، في ظروف معينة شعرت في عنصرية بالشركة ولكن ليس بشكل ملموس، أحيانا بتراعي ظروف الموظفين وأنا في العديد من المواقف ببذل جهد بالعمل وما بحس بتمييز أنه أنا عربي وفلسطيني. بل أنه أنا إنسان بغض النظر عن الديانة أو عن أي إشي تاني، بطلعلي شيخوخة، وإجازة وباخد كل حقوقي.. يعني في عيد اليهود طلعلي مصاري! وكوبون اشتري مواد غذائية لأولادي وأنا مش يهودي!! وهذا بعني أنه بقدروني كإنسان وموظف بتعب وبشتغل معهم! فاليوم أنا شخص تاني، حتى أنا أول مرة بختبر هيك ناس بحترموا الانسان وبعطوا قيمته اللازم يوخدها !! يا ريت لو الشغل في الضفة هيك!! أما(حنان) فوصفت علاقتها بشكل إيجابي وقالت" علاقتي مع المسنات بالملجأ علاقة إيجابية وما في عنصرية من طرفهم، بيئة الشغل كتير منيحة ومريحة وبشتغل في راحتي، وكل إشي منيح، اما سعاد تقاطعت

تجربتها مع كل من يزن وسعاد وقالت: "أنا مزبوط بشتغل عند اليهودي ومزبوط ديانته بتختلف عن ديانتي بس معاملته إلي معاملة جيدة في عندي نص ساعة راحة، وكمان ما بنضغط في الشغل".

وهنا نستنتج بأن كل من يزن وحنان عبروا عن التكيف بطرق وتكتيكات مختلفة ولكن هنا يمكن ربطها بمصطلح التكيف المقاوم الذي طوره كل من المالكي وشلبي ولدادوة، وعرفوه بأنه عبارة عن جميع التدابير والأفعال التكيفية التي تمكن المجتمع الفلسطيني من الاستمرار والصمود والمحافظة على بقائه (المالكي، وآخرون،2004). حيث إن هذا المصطلح خصص للشعب الفلسطيني لأن تدابيره تأتي كردات فعل على سياسة الإحتلال الهادفة إلى إخضاع الشعب الفلسطيني والسيطرة عليه، ليس فقط من الناحية المادية بل وأيضا من الناحية المعنوية، وهنا لا بد من الإشارة بأن الإحتلال يحاول السيطرة على الشعب الفلسطيني، من خلال اعطائه الميزات الاقتصادية "التجميل الزائف" وكما لاحظنا عندما قال يزن "يا ريت في الضفة الشغل هيك" وقصد بها بأنه يتمنى بأن يعمل في وطنه، لكن لعدم وجود فرص عمل مناسبة، بالعودة لبلولو فريري، أن النضال من أجل الأنسنة يصبح ذا جدوى فقط عندما ندرك أن اللاأنسنة برغم أنها ظاهرة في التاريخ فهي لا تشكل حتمية مصيرية، فهي مجرد ظاهرة مؤقتة تعكس الظلم المكرس بالقوة في أيدي القاهرين ويمارسه هؤلاء ضد المقهورين، ولما كان هذا الاخلال يحول دون التحقيق الكامل لأنسنة المقهررين فسرعان ما يبدأ هؤلا تحت وطأة الاستلاب الاحساس بحاجتهم الى النضال ضد أولئك الذي حالوا دون ممارستهم لوجودهم الانساني الكامل، غير أنه من أجل أن يصبح هذا النضال ذا جدوى فإن على المقهورين في النهاية

يمارسون دور القاهرين، بل عليهم أن يدافعوا عن إنسانيتهم وإنسانية قاهريهم في نفس الوقت، ذلك أن المضطهدين الذين يمارسون القهر والاستلاب والاغتصاب بفضل ما يتمتعون به من قوة، لا يمكنهم وهم تحت نشوة الاحساس بالسطوة تحرير أنفسهم أو تحرير مقهوريهم فالقوة التي تنبع من ضعف المقهورين هي وحدها الكفيلة بتحقيق الحرية لهم ولغيرهم. ولما كانت أي محاولة يقوم بها القاهرون من أجل تخفيف سطوتهم على المقهورين هي نوع من الكرم الزائف المقترن دوما باستمرار الظلم، فيجب التنبه الى أن مثل هذا الكرم الزائف لا يزدهر إلا في إطار نظام اجتماعى غير عادل يتسم بالموت واليأس والفقر، فالكرم الحقيقي هو الذي يتجسد في محاربة وتحطيم الأسباب التي تزدهر في بيئتها ظواهر الكرم الزائف، ذلك أن مثل هذا النوع من الكرم يغل أيدي الخائفين والمحطمين والمنبوذين المرتعشة، أما الكرم الحقيقي فهو الذي يجعل تلك الأيدي تمتد طويلا، لا من أجل التسول بل من أجل مزيد من العمل الأنساني الموعود بتغيير الحياة. ويبدو من ذلك أن الدرس وتجربته لا بد أن يأتيا من قبل المقهورين والذين يتعاطفون معهم، ذلك أن النضال من أجل استعادة إنسانية المقهورين هو في واقعه امتلاك لناحية الكرم الحقيقي، فمن أفضل من المقهورين في معرفة حقيقة مجتمع الاضطهاد؟ ومن أكثر من المقهورين يعاني ويلات ذلك المجتمع؟ بل من أحق من المقهورين في فهم حاجتهم الى تحقيق الحرية؟ بيد أن الحرية لا تتحقق بالصدفة، وإنما بالنضال المدرك لضرورة تجسيدها، وهو نضال أساسه الحب ويقف قي كل الظروف نقيضا لشعور العنف والكراهية. فعلا؛ فإن بعض المقهورين خلال مرحلة النضال بدلا من أن يناضلوا من أجل تحقيق حريتهم فانهم يجنحون الى ممارسة دور القاهرين وأشباههم وهذا المظهر في واقعه انعكاس للواقع

المتناقض الذي ظلوا يعيشون فيه فقد حلم هؤلاء بأن يصبحوا رجالا ولكن صورة الرجل ظلت في مخيلتهم هى صورة القاهر لأن هذا هو المعنى المتجسد لمفهوم الإنسانية في تصورهم، وتفسير ذلك أن المقهورين في مرحلة من مراحل حياتهم يحسون بشيء من التوافق مع قاهريهم فلا يكادون يحسونهم خارج أنفسهم، ولا يعني ذلك أنهم لا يعرفون واقعهم الحقيقي بل يعني أن تصوراتهم قد أفعمت بحقيقة الاضطهاد الذي يعانونه في كل يوم بدرجة جعلتهم لا يشعرون بضرورة النضال من أجل تغيير التناقض القائم بينهم وبين مضطهديهم. وأنهم لا يطمحون في هذه المرحلة في تحرير أنفسهم بل يكتفون بتمييزها كطرف آخر من العملية، وهكذا فإنهم لا يستطيعون رؤية الإنسان الجديد الذي سيولد من ازالة التناقض القائم بسبب وضعهم الحالي، فالإنسان الجديد في نظرهم إنما هو صورة أخرى من صور قاهريهم، وهكذا تتسم رؤيتهم للإنسان بالفردية التي تحول دون تمييزهم لأنفسهم بعيدا عن تصورهم لقاهريهم، فهم يفشلون في تمييز أنفسهم كأفراد مضطهدين أو منتمين إلى طبقة مضطهدة (فريري،1980).

المحور الثالث: دور الأسرة وانعكاساها على الصحة النفسية للعمال والعاملات

أظهرت نتائج هذه الدراسة، بأن الدعم الأسري لعب دورا مهما في حياة أغلبية العمال والعاملات، مما دفعهم إلى الاستمرار في عملهم داخل السياق الاستعماري، بالرغم من كل المشاعر والظروف القاسية التي يعيشونها خلال يومهم في التوجه للعمل أو أثناء عملهم، خاصة مع عدم وجود حاضنة مجتمعية تقدم لهم الدعم بجميع أنواعه وبالتزامن مع انعدام حالة الاستقرار السياسي والصراع الاستعماري، قالت *(سعاد)*: "كانت أمي مصدر دعمي وتشجيعي وقوتي عشان اقدر اشتغل واحسن من وضعي!". العائلة لا تزال تشكل قيمة كبيرة لأفرادها ومصدر

دعم في مواقف الحياة المتعددة، كما قال العامل (علي)، "بعد تعرضه لحادث عمل أدى لأصابته بالشلل وضح أهمية دعم ومساندة زوجته قائلا "حاولت زوجتي مساعدتي وعرضتني على دكتور نفسي، وبدأت في أخذ أدوية لتحسين المزاج وغيرها من المهدئات العصبية، اليوم بفضل الله علي تمكنت من العودة للعمل ولكن للأسف أنا على كرسي متحرك". وهذا يتفق مع ما قاله (حجازي، 1998) بأن أحد الأساليب الفعالة في مواجهة المخاطر الخارجية هي كون التعاطف والتعاضد ما بين أعضاء الجماعة والأسرة، إذ يشعر الفرد من خلال وجوده في هذه الجماعة بالأمان وعند زيادة الأخطار الخارجية يرتفع الاحساس بالتهديد للذات والمصير، الأمر الذي يدفع بالفرد للاحتماء في المجموعة التي ينتمي إليها. بالعودة إلى علم النفس المجتمعي هذه النتيجة يمكن ربطها بما قاله كل من (Nelson& Prilleltensky,2005)، في كون عملية الإحساس بالمجتمع والدعم الاجتماعي، تؤدي إلى نتائج إيجابية على مستوى الأفراد والمستويات الاجتماعية والمجتمعية لأنواع مختلفة من الدعم الاجتماعي الذي قد يعزز أو تعيد بناء الصحة النفسية وتطورها إما من خلال التأكيد على الخبرات والتجارب الخاصة ورفع تقدير الذات على مستوى العلاقات الاجتماعية أو العلاقات الشخصية من خلال تزويد الدعم العاطفي في أوقات الأزمات، قالت (فدوى): "ودعم عيلتي وأصدقائي ساعدني أتخطى جميع الصعوبات". وأيضا هذا المستوى من الدعم يساعد في التغلب على الضغوطات والنفسية ويقللها، مما يعني منعه لتفاقم المشاعر السلبية والمشاكل المرتبطة بالفرد، بسبب امتلاك الجماعات مصادر كافية للتغلب على الظروف المعاكسة، وهنا قالت (ظريفة): "بشكر الله أنه

أهلي ساعدوني ودعموني لما بلشت أشتغل، ساعدوني انه أولادي يكونوا في محل آمن ومنيح، عشان أقدر أوفر دخل إلهم من بعد اعتقال زوجي".

أما من ناحية القرى والمخيمات فقد اختلف شكل الدعم، حيث إن الافراد الذين تمت مقابلتهم من القرية أكدوا على أنهم يتلقون الدعم من أبناء المخيم وأبناء قريتهم وعائلتهم الممتدة، فقال (يزن): "اعرفت عن الشغل من أصحابي في المخيم، وعن طريقهم شجعوني واشتغلت، وحاليا انا عندي معاش شهري بقدر من خلاله أعيل عيلتي" وهنا اختلف مصدر الدعم لدى يزن، فأصبح أكثر راحة نفسيا واقتصاديا الآن وذلك لدعم ومساندة أبناء مخيمه، نظرا لأن العلاقات متشابكة بين أفراد المخيم فمنهم من تربطهم علاقات صداقة قديمة بين الأهل ومنهم من تربطهم علاقات النسب. وأيضا كما هو الحال داخل القرية؛ فنرى أن الأسرة الممتدة تعيش مع الزوجين، وهذا شكل مصدر دعم كبير للأسرة النووية خاصة عندما كان يضطر العامل للمبيت في العمل، قال (مصطفى): " لما بطلع على شغلي أمي بتساعد زوجتي في الأولاد بتهتم فيهم وكمان لما أضطر أنام في الشغل بكون مطمن عليهم أنهم مع أهلي في أمان، علاقتنا مع بعضنا علاقة قوية، ومنساند ومندعم بعض".

من جانب آخر أظهرت نتائج هذه الدراسة أيضا بأن أغلبية النساء العاملات أكدن على وجود منصة خاصة بهن، إذ قالت (سعاد): "إحنا كعاملات بندعم حالنا من حالنا يعني عنا مجموعة من العاملات بنتواصل مع بعض عبر الواتس آب، وهذا الجروب يشكل منصة دعم اجتماعي لنا، منتبادل الصعوبات إلي منواجها، وكمان في حال الاغلاقات، أو لما حدا يتعرض لعنف في الشغل أو على الحاجر، يعني في جسم خاص فينا". وكما أكدت (فاتن): "أنا مشاركة في

الجروب على الواتس آب وهو جروب مهم إلنا وبندعم بعضنا البعض وخاصة كفلسطينيات عاملات في محلات مختلفة من القدس".

هنا (سعاد) و(فاتن) طرحن موضوع مهم، أي ضرورة وجود "جماعة"، والتأثير الذي عملهن وتحدثن عنه في حياتهن كعاملات، وتحديدا في مجتمعنا الفلسطيني كونه مجتمع جمعي أي (Collective Society)، الذي تسوده الثقافة الجمعية، وبالتالي تجمعات العاملات هنا، ما هو إلا تشكيل وتعريف للهوية الاجتماعية لهن، والتي من خلالها استطعن التجمع ودعم أنفسهن، والتخطيط والتنظيم للوصول إلى حلول قد تكون جذرية للمحافظة على حقوقهن، الهوية الاجتماعية المشتركة تدعم قدرة أعضاء الفئات المحرومة والمهمشة، على التعاون والعمل سويا، لمنع أنفسهم من عواقب سلبية وهي بالأساس تقدم الدعم الاجتماعي والعاطفي والفكري، للتعامل مع الظلم الواقع عليهم كالتمييز، والوصم ومقاومته (Haslam, 2009).

وهذا يذكرنا بمفهوم الحس النفسي المجتمعي أو الإحساس بالانتماء إلى المجتمع (Sense of Community)، الذي أشار إليه الباحثان ماكميلان وشافيس، (Chavis&Mcmillan,1986)، باعتباره ذلك الشعور لدى أعضاء الجماعة بالانتماء، والشعور بأن الأعضاء مهمون لبعضهم بعضا وللمجموعة، والإيمان المشترك بأن احتياجات الأعضاء ستلبى من خلال بقائهم موحدين، ويرون بأن هذا الشعور يأتي وفقا لتوفر أربعة عناصر داخل المجموعة، يتضمن ذلك عضويتهم بالجماعة وشعورهم بالأمان العاطفي والاتصال العاطفي المشترك، وحاجاتهن بأن لديهن بعض التأثير في المجموعة، وتكون المجموعة لها تأثير على أعضائها أيضا، ذلك يعزز من التماسك بين أعضائها ككل، بالإضافة

لوجود تكامل وقدرة على تلبية الاحتياجات، الأفراد يشعرون بالمكافأة بطريقة ما لمشاركتهم في المجتمع. وبالتالي وجود هوية اجتماعية مشتركة تعزز من الحس النفسي المجتمعي. وهذا ما لمسناه من العاملات وخاصة من فاتن عندما قالت: "إحنا بحاجة لمثل هيك مجموعة، بحاجة لبعض، إحنا عنا نفس المعاناة والتحديات، منتشارك ومنتبادل الحوار بينا". هذه التجمعات أو المنصة عززت لديهن الحسن النفسي المجتمعي، بسبب توفر مساحة جيدة لتعبير بشكل آمن وواضح وصريح، وهذا يخلق لديهن الاحساس بالأمان والتعاطف والتعاضد المشترك، وتأثيرهن الدائم ببعضهم بعضا، والحاجة إلى استمرارية هذا المساحات والتجمعات للبقاء موحدات والعمل على تلبية احتياجاتهن التي عليهن تحقيقها.

وهذا ما أكدت عليه أيضا العاملة (حنان) وقالت: " ما بتتخيلي قديش هذه المجموعة ساعدتني في بداية عملي، ولسا لحد الآن أنا بحس حالي بحتاج أحكي وأفضفض لانه إحنا في شغلنا منعيش تحديات كثيرة وخاصة كنساء ومنعمل في أشغال صعبة".

المحور الرابع: حقوق الإنسان وارتباطها في قضية العمالة الفلسطينية داخل السياق الاستعماري

أظهرت نتائج الدراسة أن الغالبية العظمى تتعرض لانتهاك حقوق، سواء الحق في الأجور، أو الحق في العمل في بيئة آمنة والحق في العمل بكرامة، والحق في الحصول على استراحات وغيرها من الحقوق، إذ عبرت (ناديا) عن مشاعرها بكل صدق وقالت: "منتعب كتير في الشغل، 10 ساعات شغل، ما في استراحة، لدرجة بطلت أشرب مي عشان ما أحتاج الحمام!، ينعل أبو من إحساس، مرات بعصب وبتعب وما في كلام اكتر من هيك إحساس كتير بشع!،

بنضغط، وبنفعل أنا ما بتعامل هيك أنا إنسان، من حقي وقت للإستراحة والأكل والحمام!!، شو هل الظلم هاد!، ما في احترام لكرامة الانسان، وين حقوق الإنسان!!!". من جهة أخرى عبر العامل (علي) فقال: " كنت عاملا جديد علما بأنني أعمل بشكل قانوني، لكن لم يكن متوفر لي كامل معدات الأمن والحماية كالحبال والسكالة، وكنت لوحدي ولم يكن معي من يساعدني او يرشدني حول الطريقة الآمنة في العمل"، وهنا شعرت بالظلم لاني عامل كغيري من العمال و يحق لي الحصول على كامل حقوقي خاصة بانها إصابة عمل، إذ حاول صاحب العمل كل جهده حرماني من الحصول على حقي الكامل كوني فلسطيني الهوية!، بعدها رفعت دعوة عليه لكن كفلسطيني لم احصل على كامل حقوقي، وأيضا تعرضت لاعاقة في الرجل ودفعت ثمن ذلك عدم قدرتي على العمل نهائي". اتفق العامل (أحمد) مع العامل (علي) وقال: "ما في ملابس حماية ولا في أحذية بتحميلنا إجرينا، باخد جاكيت بس ما بقدر أتحمل البرد، وما في ولا أي وسيلة لحماية حالي في الشغل إذا تعرضنا لأي خطر من المخاطر ما في حدا بسأل فين، ما في وقت للاستراحة، من حقي أرتاح وأحمي حالي ويكون في ملابس لحماية نفسي!!". أما عزيز فقال: "أنا كفلسطيني من حقي أشتغل زيي زي اليهودي، شو هل التمييز هادا ما باخد معاش زيي زي غيري من العمال اليهود".

تتعرض العمالة الفلسطينية داخل السياق الاستعماري والمستعمرات والمناطق الصناعية إلى مختلف أنواع القهر والتمييز وإلى وضع قوانين واتفاقيات جماعية مرتبطة بها كدولة احتلال، وهنا تجدر الإشارة إلى وجود العديد من الحقوق التي لم يحصل عليها العمال والتي عبر عنها كل من العامل علي والعامل أحمد وتمثلت في حق العامل في العمل بظروف لائقة تضمن له

الحصول على حقه أي أجره بالكامل، وكذلك حق العامل في اخذ كامل حقوقه من العمل ضمن الساعات المحددة، ومن حقه التعامل في كرامة وإنسانية سواء داخل الخط الأخضر. عدا عن حصولهم على حق الحماية من التعذيب والمعاملة السيئة، أي تمارس سلطات الإحتلال الإسرائيلي هذه الانتهاكات رغم تعاقدها في اتفاقيات تدعو إلى ضمان حماية العديد من حقوق الإنسان، الإحتلال الاسرائيلي رغم تعاقده في اتفاقية مناهضة التعذيب تنتهك حقوق الفلسطينيين منذ عشرات السنين من خلال حملات الاعتقال التي تقوم بها خلال ذهاب العامل للعمل أو خلال عودة العامل لبيته أو عند تواجده في الطريق، وبالتالي تنتهك من حقه في الأمان على ذاته المكفولة دوليا، والتي تكون في أغلب الأحيان في ساعات الليل المتأخرة، غير أنه يتم التعدي على العمال والعاملات الفلسطينيين بالضرب والشتائم كما تم الحديث عنها سابقا، عدا عن حقهم في العمل بظروف جيدة، حيث ان هذه الممارسات تتم دون مراعاة للكرامة الإنسانية، التي نصت عليها المواثيق الدولية. وأيضا من حق العمال العمل في ظروف بيئة وآمنة وسليمة (عودة الله، 2009). كما لاحظنا من خلال الظروف الصعبة وغير صحية التي يعاني منها العامل (علي)، إذ إن معظم العمال يعملون في القطاعات الخطرة كالبناء، دون توفر الحد الأدنى من مقومات الأمن والسلامة المهنية. نلاحظ في الدراسة الحالية وجود العديد من الاحتياجات للعامل التي تم إهمالها مثل تواجده في بيئة عمل آمنة، صحية، سلمية، بالعودة لهرم (ماسلو) من المهم أن يتم التأكيد على إشباع الاحتياجات النفسية للعامل وخاصة الحاجة للأمان والكرامة التي يسعى العامل الحصول عليه خلال التوجه لعمله وأثناء العمل، وعند النوم خارج بيته، ولكن الناتج في حالة العمال في دولة المحتل ماهي إلا تعبير عن حالة

فقدان الانتماء والأمان بكل جزئياته. بالإضافة إلى الحق في حرية التنقل، تعد القيود المفروضة على الحركة من أكثر أشكال العقوبات الجماعية المستخدمة ضد الفلسطينيين والعمال، والتي تعد من أكثر الانتهاكات ضررا على حياة العمال باعتبارها تحول دون تواصل هؤلاء العمال واحتياجاتهم الحياتية اليومية، كل ذلك يحدث بما يتنافى مع ما ورد في أحكام القانون الدولي كالمادة (12) من العهد الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والمادة (33) من اتفاقية جينيف الرابعة. وايضا الحق في تلقي العلاج بشكل كامل وذلك لضمان سلامة العمال وصحتهم النفسية والجسدية، الحق بالحماية من مختلف أشكال التمييز العنصري للعامل أسواء في التمييز بالأجور أو بين العمال الآخرين (عودة الله، 2009). وفي هذا السياق عبرت (ظريفة) وقالت:

"يا ريت ما عنا احتلال، وفي عدالة وفي مساواة ليش العمال والعاملات الاسرائليين معنا في المزرعة بتصرفوا معهم بطريقة إنسانية وبشتغلوا في ظروف صحية اكثر".

من المهم القول بأن جميع العمال عبروا عن الكثير من الحقوق، لكن برأبي من المهم التركيز على ما يسمى الحق في الكرامة الانسانية التي تأتي من بعدها جميع الحقوق، وذلك لأن كرامة الإنسان أساس الوجود والإنسانية، عندما تكون الحرية المتمثلة في حق الإنسان في تقرير مصيره هي شرط أساسي ووحيد لتحقيق الكرامة الإنسانية، وهذا الارتباط بين الحرية و الكرامة الإنسانية ليس ارتباطاً سببياً، أي أن إحداهما ليست سببا للأخرى، بل إن كلا منهما تقع في منظومة الأخرى وتشكل شرطا لاستمرار وجودها، فالحرية المتمثلة بحق تقرير المصير سواء على مستوى الشعوب أم على المستوى الفرداني، لا معنى لها دون أن تجعل الكرامة الإنسانية هدفا لتلك الحرية، والكرامة الإنسانية التي هي أساس الوجود الإنساني لا يكتمل مفهومها من

دون الحرية وحق تقرير المصير والسعي نحو التحرر، وبالتالي فإن أية محاولة للانتقاص من الحرية أو سلب الإرادة في الاختيار، وفقدان حق تقرير المصير هو امتهان للكرامة الإنسانية وانتقاص من إنسانية الشعب الذي تعرض لانتهاك حريته، فحق تقرير المصير هو الغاية التي تسعى إليها الشعوب أو تسعى إليها الجماعات المضطهدة، وهو يتمثل في القدرة على اختيار نظام سياسي واقتصادي واجتماعي، والتعرض لانتهاك الحرية يعني نفي الوجود الإنساني وهذا يعني فقدان الكرامة الإنسانية، وحى تتم استعادة حق تقرير المصير، وحرية الاختيار التي تم انتهاكها، سواء من قبل الاستعمار أو من قبل نظام استبداد، تنشأ المقاومة لإسقاط النظام الاستبدادي، التي هي وسيلة لاستعادة القدرة على الاختيار وبالتالي استعادة الوجود والكرامة الإنسانية، إذا فإن السبب الأساسي لنشوء المقاومة هو استعادة الوجود و الكرامة الإنسانية، إن حرية الاختيار المرتبطة بفعل الإرادة هي أساس معنى الوجود الإنساني، أي أن على الإنسان أن يقوم بفعل الاختيار لأنه معنى الوجود، وهذه الاختيارات مرتبطة بالغايات، أي أن الغاية التي تقوم من أجلها بالاختيار هي التي تحدد اختياراتنا، على أن تكون الحرية هي أساس هذه الغاية (القاسم، 2012).

في فلسطين، الفردانية والانعزالية، هي نتاج الاغتراب والقهر والخوف والأزمة الوجودية التي يمر بها العشب الفلسطيني بسبب الممارسات القمعية لكسر الهوية الجمعية، وهي تؤدي به لتمويه الحقيقة لصالحه خوفا من ثمن الحرية. لكنه أيضا يدرك أنه بدون الحرية لن يحقق تكامله الإنساني ولن يحصل إلا على فتات من كعكة فلسطين، وهذا الفتات سيبقى حتى يشعر المُستعمِر بالجوع أكثر مع مضي الوقت. الاعتراف بالهزيمة ليس سهلاً، ولا بد أن يجد

المُستعمَر غلاف آخر لتلك الهزيمة، والفردانية في أفضل غلاف، فهي مفتاح العالم الحداثي، الذي صدر للفلسطينيين نموذج الإنسان المسالم والمحب والمظلوم المسامح، بالرغم من أنني أشك في وجود هذا النموذج من الإنسان في أي من الدول المصدرة له. فالعالم الآن أشبه بساحة معركة، فتلك الدول تدافع عى اللاإنسانية ولكن تحت عنوان "حقوق الإنسان". حتى اليوم لم يتم الاعتراف أو محاسبة الاستعمار على المجازر الإرهابية التي ارتكبها لإنشاء دولته، في المنصات الدولية الحقوقية التي تدعي نضالها لأجل الإنسانية، لأن حقوق الإنسان في الحقيقة قائمة على مصالح الاقتصاد لفئة عينة من البشر على حساب الآخرين، فحقوق الإنسان لا تشمل الفلسطيني كفلسطيني، بل قد تشمل الفرد في فلسطين. فحقوق الإنسان التي تدعيها تلك الدول تجرده من أسمى حقوقه الإنسانية وهي الرفض وحرية الاختيار والتعبير عنه، وتصفه بالتخلف، ولا حق للفلسطيني بأن يدافع عن إنسانيته ووجوده، وإن فعل فهو لن يواجه الاستعمار فقط، بل سيواجه العالم بنظامه اللاإنساني، فالدول في هذا العالم منشغلة بتطوير أسلحتها على اختلاف أنواعها تقليدية وغير تقليدية، تحسبا لأي اعتداء عليها أو مساساً بمصالحها خاصة الاقتصادية. مثالاً على ذلك يتحول الجندي الأمريكي بممارساته اللاإنسانية في العرق واليمن وليبيا إلى مناضل من أجل الإنسانية، وغالبا ما تتناقل وسائل الإعلام مقاطع مصورة لهذا الجندي في أول لقاء مع أطفاله بعد عودته من أرض المتخلفيين والأميين الذين لا يستطيعون تقرير مصيرهم وحدهم، فمستواهم العقلي والاجتماعي ما زال بدائيا جدا، ويأتي هذا "المخلص والمضحي" ليخرج هذه الأشياء من عالم الظلمات إلى عالم النور (داريني، 2020).

من المهم العودة لباولو فريري، يعتقد فريري أنه من أجل التحرر من القهر يجب على الجماعات والأفراد القيام بذلك بأنفسهم، ويصبح هدف التعلّم المهم التخلي عن الوعي الزائف وتطوير الوعي الناقد لدى المتعلمين. ويوصي فريري بتعلّم يبدأ بقيام المتعلمين أنفسهم بصياغة المشكلات التي تواجههم، ويتبع ذلك الحوار النقدي، فصياغة الحلول وخطط العمل. وتكون العلاقة بين المعلم والطلبة أفقية، بدلا من هرمية، حيث يتعلّم ويعلّم المعلمون والطلبة بعضهم بعضاً. وهذا النوع من العلاقات هو المهم في التعليم التحرري، فلا فائدة، حسب فريري، من تزويد الطلبة بمعلومات عن طبيعة القهر في المساهمة في تحررهم، بل لا بد من حوار حقيقي من أجل إدراك الحقيقة وإزالة الحجاب عن الواقع. فالتربية التحررية النقدية، إذن، تهدف أساسا إلى تحرير الإنسان، إلى جعله أكثر إنسانية، من خلال تمكينه من أجل تغيير المجتمع غير العادل الذي يعيش فيه. والأساليب المستخدمة فيها تحررية تركز على المساواة والحوار. وهي أخيرا تحرر المتعلّم من خلال تطوير الوعي الناقد لديه وربط هذا التغير بالفعل من أجل تغيير المجتمع، وذلك عن طريق الحراك الاجتماعي (Social Action).

محددات الدراسة

المحدد الأول المتعلق بالوقت، المدة الزمنية التي تم العمل على إجراء المقابلات كانت مدتها 4 أشهر، الفصل الدراسي الثاني (Spring 2023).

المحدد الثاني المتعلق بالمكان، أجريت المقابلات في مدينة بيت لحم، ومخيماتها وهي الدهيشة وعايدة والعزة، بالإضافة إلى القرى الغربية ومنها حوسان ونحالين وبتّير.

المحدد الثالث المتعلق بالفئة، وهم العمال والعاملات الذين يعملون في السياق الاستعماري، والذي بلغ عددهم 15 فردًا فقط من أصل 30، بسبب تزامن قيامي بدراستي هذه مع جائحة الكورونا التي أعاقت بحثي كثيرا، حيث أصبت مرتين بالكورونا مما أعاق الاستمرار في المقابلات بالإضافة إلى ما ذكرته سابقا من أسباب.

واقتصرت هذه الدراسة على أدوات التحليل المتعلقة بالصحة النفسية من منظور علم النفس المجتمعي التالي:

الاضطهاد، التهميش، الحرمان، الظلم، الصمود، المقاومة، الجلد.

الفصل الخامس

ملخص النتائج والتوصيات والمقترحات

ملخص النتائج

كما هو ملاحظ من خلال ما أبرزته نتائج الدراسة، بأنها تكونت من أربعة محاور؛ فالمحور الأول هو السياقات وانعكاسها على الصحة النفسية للعمال والعاملات الفلسطينيين، وهذا المحور خرج في ثلاثة سياقات يتفاعل معها العمال والعاملات عند بدء يوميهم وتمثلت في:

- ✓ السياق الأول، وهو السياق المكاني، الذي تنتمي إليه الفئة العمالية، ووجودهم ضمن هذا السياق يترك لديهم مشاعر إيجابية وينتج عنها الإحساس بالثقة بالنفس والقوة والأمان بالإضافة إلى الشعور بالانتماء لأنهم السكان الأصليون ولديهم المعرفة الكاملة بالمورد البيئة التي يتفاعلون معها بشكل دائم ويومي.
- ✓ السياق الثاني، وهو السياق المرتبط بالحاجز أي قبل الوصول للعمل، أظهرت النتائج أن جميع العمال والعملات دون استثناء يضطرون لقطع الحاجز للوصول إلى عمله، أي ينتقلون من السياق البيئي العروف لهم إلى سياق مختلف من كافة النواحي وهو السياق الاستعماري. هذا السياق يؤثر بشكل سلبي على صحتهم النفسي وتوافقهم النفسي سواء بممارسات الإحتلال المباشرة أو غير المباشرة التي يتعرضون لها يوميا، عدا عن المعاناة والقلق والتوتر بسبب الحاجز، وإضافة لهذ المشاعر تمثلت في القهر والذل، وإضافة لذلك تعرضهم للانتهاك السافر لكرامتهم، والغضب.
- ✓ السياق الثالث، وهو السياق الاحتكاك الاستعماري المباشر، الاحتكاك مع المستعمَر صاحب العمل، أظهرت النتائج بأن الغالبية يتعرضون لبيئة خالية من الأمن والأمان

خاصة بأنهم في بيئة مختلفة عن بيئتهم فيشعرون في الوحدة والخوف والتوتر والعصبية، بالإضافة إلى الإحساس بالدونية والاغتراب النفسي.

أما المحور الثاني؛ فهو نمط العمل في إسرائيل وكيف انعكاسه على مفهوم الهوية، وتتضمن ما يلي:

- اغتراب الهوية الذي عانى منه الأقلية من العمال والعاملات، لعدم قدرتهم على العودة لبيوتهم بسبب الإغلاقات الأمنية، أو اضطرارهم إلى المبيت في أماكن عملهم.
- صراع الهوية الوطنية الفلسطينية، إذ أظهرت النتائج بأن بعض العمال والعاملات تبين لديهم صراع في الهوية.
- الجلد والصمود، أظهرت النتائج بأن معظم العمال والعاملات تشكل لديهم جلد وصمود خلال عملهم داخل السياق الاستعماري. إذ إن العمل النضالي كان واحدا من العناصر التي عززت الإحساس بكون الشخص ينتمي إلى هوية، هي في نظره تحمل طابعا متميزا، حيث إنها تعطيه القوة في الخروج للمطالبة بحقه.
- التمكين، من المهم التوضيح بأن النتائج بينت وجود بعض العاملات اللواتي برز لديهن التمكين خلال عملهن داخل السياق الاستعماري، ورأينا كيف أن التحديات والصعوبات ولدت لديهن الإحساس بقوة الشخصية لديهن، والكفاح والصبر من أجل الوصول إلى هدفهن لتحسين من وضعهن الاقتصادي.
- التكيف، بينت النتائج بأن بعض العمال والعاملات ظهر لديهم ما يعرف بالتكيف الذي يسعى إلى إيجاد أساليب وبدائل يمكن أن يستخدمها العمال والعاملات للتغلب

على المحن والصعوبات للوصول إلى حياة كريمة وصحية، والوصول إلى التوافق النفسي الاجتماعي.

أما المحور الثالث؛ فهو دور الأسرة وانعكاسها على الصحة النفسية للعمال والعاملات. بينت النتائج بأن الدعم الأسري لعب دوراً كبيراً في حياة العمال والعاملات، بالشكل الذي حافظ على استمراره في عمله دون انقطع، إذ إن العلاقات الاجتماعية لعبت دورا مهما وكبيرا في حياة العمال والعاملات.

أما المحور الرابع؛ فهو حقوق الإنسان وارتباطه بقضية العمالة داخل السياق الاستعماري. أظهرت النتائج أن الغالبية العظمى تتعرض للانتهاكات الدائمة، مثل الحق في الأجور والعمل، والحق في بيئة آمنة للعمل بكرامة، والحق في وجود حرية ومساواة وعدالة وغيرها من الحقوق الكاملة التي يحصل عليها العامل كغيره.

التحديات المرتبطة بالدراسة

- عدم تعاون الاتحاد العام للنقابات مع الباحثة بحجة الخصوصية في الإفصاح عن أسماء العمال والعاملات الفلسطينيين.

- الصعوبة في عمل إجراء مجموعات بؤرية مع فئة العمال كونها فئة لا يوجد لديها الوقت أو الإمكانيات المطلوبة لعمل برامج معينة تعنى بهم.

- صعوبة الوصول إلى العاملات الفلسطينيات كون بعضهن يشعر بالخجل من عملهن كعاملات نظافة من النساء اللواتي يعملن في الداخل المحتل.

– خوف العمال والعاملات الفلسطينيين من الإفصاح عن أسماء زملاء لهم، وذلك لعدم خسارتهم التصريح أو العمل داخل السياق الاستعماري.

التوصيات

قد خرجت الدراسة بالتوصيات الآتية:

- بحاجة إلى المزيد من الأبحاث العلمية التي تركز على الجانب النفسي للعمال، وخاصة التركيز على الطبقة العاملة الفلسطينية.
- بحاجة إلى تزويد المكتبة العربية بما هو حديث من نظريات، ودراسات عالمية، وعربية محلية حول الطبقة العاملة وقضاياها.
- تشجيع الاتحاد العام لنقابة العمل والعمال الفلسطينيين على الاهتمام أكثر بالطبقة العاملة وعمل دورات توعوية وتدريبة لها في مواضيع متعلقة بالمخاطر التي يتعرض لها العمال، وتوعيتهم بحقوقهم، وعمل ورشات تدعمهم من الناحية النفسية لتصبح لديهم الخبرة في إدارة أمورهم اليومية في العمل، بالإضافة إلى توفير التصاريح للعمال ليكونوا أقل عرضة لاستغلال السماسرة، بالإضافة إلى عمل تأمينات صحية لهم تغطيهم عند حدوث أي إصابة عمل يتعرض لها العامل.
- وجود مؤسسات تعنى بالعمال، وتقدم خدمات شمولية لتمكينهم من مختلف الجوانب النفسية، والاجتماعية، والاقتصادية.
- عدم إغفال أسر العمال من أي خطة داعمة لما لها من أثر على توطيد العلاقات الأسرية، وبالتالي تحسين الصحة النفسية للعمال وأسرهم على حد سواء.

- العمل على وجود مؤسسات في المجتمع المحلي توفر فرص عمل للعمال العاطلين عن العمل، ولتهيئة جو مناسب لهم لتلقي تدريبات في الحرفة الصناعية واليدوية.
- التوجه إلى الحكومة لاتخاذ تدابير وإجراءات تعمل على تحفيز العمال للعمل في المجتمع الفلسطيني للحد من زيادة انتشار العمال الذين يعملون داخل السياق الاستعماري.
- نشر الوعي حول العمال في المجتمع بأكمله، وما هي الصعوبات والتحديات التي يعيشونها.
- العمل على تشكيل لجنة مناهضة توعوية تمكينية للعمال الذين تعرضوا لمختلف أشكال العنف، والتهميش، والاضطهاد. وهذه اللجنة مكونة من عمال تعرضوا للظروف نفسها للدفاع عن حقوقهم بما يضمن لهم العيش بكرامة إنسانية.

الخاتمة

لقد عشت رحلة المعاناة مع العمال والعاملات التي استمرت لمدة ثلاثة إلى أربع شهور، كنت أنهض عند الخامسة صباحاً، الوقت الذي يحضر فيه العمال على الحاجز ليذهبوا إلى عملهم، أسواء بالطقس البارد أو بالحر الشديد، لم أتخيل نفسي أذهب بشكل يومي إلى الحاجز، إذ شعرت كباحثة بألم في داخلي فقط من الوقوف أمام الحاجز، ماذا كانت ستكون حالتي إن ذهبت يوميا إلى عملي وعانيت ما يعانيه العمال يوميا، للحصول على لقمة العيش. كنت أرى الظروف التي يواجهونها تفتقد إلى أدنى معايير الإنسانية، إلى درجة أنني رأيت أمام عيني كيف بدأ جندي الإحتلال بالصراخ على رجل سبعيني مضطر للعمل، ويقول له "**يا حيوان أدخل أجا دورك**"، في هذه اللحظة وقفت بيني وبين نفسي كيف أن هذا الرجل سمح لهذا الجندي أو بالأصح لهذا "الكائن" أن يتصرف معه بهذه الدونية، هذا لأنه لا يوجد لديه أي قيمة للآخر!!.... عدا عن أني كنت أرى كيف كان يقف العمال في ازدحامٍ شديد في الصباح الباكر وكيف أن كل عامل يريد الوصول إلى نهاية الحاجز للخروج إلى عمله، والطريقة الهمجية التي كان يتعامل بها جنود الإحتلال وكيف يراقبون كل عامل ويذلونه في التفتيش، عندما كنت أرى هذه المشاهد كنت أشعر بواقع العمال الأليم، وأفهم لماذا يتعرض هؤلاء العمال والعاملات إلى الضغوطات النفسية التي تتولد لديهم عند دخولهم الحاجز لأن الإنسان خلال وقوفه لساعات في هذه المسارب يتولد لديه إحساس بالظلم والإهانة، ولأن هذا المكان بجميع تفاصيله سيء، عند الدخول منه إلى الانتهاء من كل الإجراءات البشعة بدءاً من التفتيش الشخصي، إلى التفتيش الإلكتروني، يشعر الإنسان كأنه في "زريبة" أي المكان الذي يستخدمه

الرعاة أو المزارعين لتبيت الماشية من البقر والأغنام! وجميع هذه الظروف التي تحفز التعرض إلى الضغوطات النفسية والتي تنعكس سلبا على الصحة النفسية للفرد، وعندما كنت أقف لساعات وأرى كيف تبدو تعابير وجوه العمال التي يظهر عليها التعب والألم والشقاء والحسرة على ما يواجهون من صعوبات وتحديات خلال يومهم الطويل، وفي الوقت نفسه فيها شيء من اللهفة والبسمة التي كانت ترسم على وجوههم عند وصولهم إلى بيت لحم وكأنهم كانوا في السجن وانطلقوا إلى الحرية!

من الجدير بالذكر أنه بعد الكورونا غير الإحتلال من إجراءاته تجاه الفلسطينيين فيما يتعلق بالتصاريح، ففي شهر كانون الثاني كانت المرة الأولى التي أحصل فيها على تصريح. حينها، توجهت إلى حاجز (300)، وبعد اجتياز كل إجراءات التفتيش وقفت أنتظر في البرد التاكسي للذهاب إلى القدس، وخلال انتظاري، خطر ببالي كيف أنني لمرة واحدة وفي لحظة معينة لم أتحمل البرد والجو السيء لدرجة أنني غرقت من شدة المطر، فكيف للعمال أن يتحملوا كل هذه المعاناة اليومية من أجل قوت يومهم.

في أحد الأيام عندما أنهيت عملي، توجهت إلى الحاجز نفسه، وانتظرت ساعة ونصف حتى بدأ العمال بالعودة من عملهم، لقد رفض حينها العديد منهم مقابلتي والحديث معي، بحجة أنني صبية إذ إن أحد العمال قال: "**ليش انت هون**"، فأجبته: "**بدي أعمل مقابلة معك ممكن تعطيني من وقتك لو خمسة دقايق**"، لكنه رفض وقال: "**شوفي حدا ثاني أنا بدي أروح أشوف عليتي اشتقتلهم!!!!**".... هذا الموقف في حد ذاته ترك لدي تساؤلا كم من الوقت قضاه هذا العامل بعيداً عن عائلته؟! وحين قابلت آخر من وافق على إجراء مقابلة معه قال لي: "**يا ريت**

لو في حدا بهتم فينا وبسأل عنا". جميع هذه التجارب التي عشتها مع العمال جعلتني أفكر ما الطريقة التي بالفعل يمكنني أن أساعدهم من خلالها، وهنا جاء دوري بصفتي باحثة متخصصة في علم النفس المجتمعي، لكي أنقل صورة المعاناة والظلم والتهميش التي يعيشها هؤلاء العمال والتي بالفعل يريدون من يهتم بهم في إطارها، لهذا فقد ركزت في هذه الرسالة على قضية مهمة جداً تمس أهم شريحة في المجتمع الفلسطيني، وهي شريحة العاملين والعاملات الذين يعملون في الداخل المحتل، ومن هنا فهمت لماذا أن المنتفعين الذين يأتون إلى المكتب لمساعدتهم يحملون مشاعر غضب، وقهر، وظلم، ولديهم ضغوطات نفسية كبيرة تؤثر على جميع جوانب حياتهم.

فاليوم أنا فخورة بنفسي كباحثة وكإنسانة قابلت هذه الفئة المهمشة، واستطعت أن أجعلهم قادرين على التعبير عن مشاعرهم الحقيقية، والتي تعبر فعلاً عن واقع ظالم وتحديات قاسية يعيشها العمال، تبدأ منذ لحظة اتخاذ قرار العمل في الداخل المحتل، بحثاً عن لقمة العيش والسعي وراء الأجر المرتفع الذي يتقاضونه معظمهم، بالرغم من أنهم يواجهون الويلات والحسرة ضريبة هذا القرار! كما أشعر بالفخر بنفسي كوني قبلت التحديات والصعوبات التي واجهتها خاصة خلال إجراء المقابلات ونظرة العمال والعاملات لي كباحثة، وما كنت أسالهم العديد من الأسئلة التي من الممكن أن يخجلون من إجابتها بالتحديد العمال كونهم يعيشون في مجتمع أبوي الذي ربما يمنعهم من التعبير عن مشاعرهم بشكل عفوي وسهل، والخوض في تفاصيل قد لا يكونوا واعيين لها من قبل دون الخجل مني كباحثة. وما شاهدته واختبرته على هذه الحواجز ما هي إلا جزء من المعاناة.

وفي النهاية، إن دراسة تجارب العمال والعاملات داخل السياق الاستعماري نتج عنها نتائج عدة، مرتبطة بأربعة محاور؛ أولها المتعلق في السياقات، حيث إن هذه الطبقة تتفاعل في عدة سياقات، أولها السياق الفلسطيني وهو السياق الأول الذي ينتقل منه جميع العمال لعملها، وبعدها سياق حاجز (300)، وهو الحاجز الرئيسي لمنطقة بيت لحم وضواحيها ينطلق منه العمال إلى عملهم، وآخرها هو سياق العمل أي داخل المنشأة أو الورشة، وخلال وجودهم وتفاعلهم مع هذه السياقات بالتحديد مع السياق الأول، إذ عبر العمال والعاملات عن مشاعر وصفوها بالإيجابية كالإحساس في الثقة بالنفس والقوة والأمان بالإضافة لشعور الانتماء لأنهم السكان الأصليون ولديهم المعرفة الكاملة بالموارد البيئية التي يتفاعلون معها بشكل دائم ويومي. أما سياق الحاجز فعبرت الفئة العاملة بأن هذا السياق يؤثر عليهم بشكل سلبي خاصة على صحتهم النفسية وتوافقهم النفسي أسواء بممارسات الإحتلال المباشرة أو غير المباشرة التي يتعرضون لها يوميا، عدا عن المعاناة والقلق والتوتر بسبب الحاجز، وإضافة إلى هذه المشاعر تمثلت في القهر والذل، وإضافة إلى ذلك تعرضهم للانتهاك السافر لكرامتهم، والغضب. أما عند وصولهم للعمل نتج عنه مشاعر سلبية مرتبطة في جو خالٍ من الأمن والأمان، فيشعرون بالوحدة، والخوف، والتوتر، والعصبية، بالإضافة إلى الإحساس بالدونية والاغتراب النفسي.

أما المحور الثاني المرتبط بمفهوم الهوية، فقد انقسم إلى قسمين؛ الأول بالنظرة السلبية، حصل لديهم اغتراب في الهوية وصراع الهوية الوطنية لدى البعض من العمال، أما الثاني؛ فهو نابع من تفاعل أغلب العمال بطرق مختلف فأصبح لديهم الجلد والصمود، التمكين، والتكيف.

أما المحور الثالث؛ فهو دور الأسرة وانعكاسها على الصحة النفسية للعمال والعاملات، بينت النتائج بأن الدعم الأسري لعب دوراً كبيراً في حياة العمال والعاملات، بالشكل الذي حافظ على استمراره في عمله دون انقطع، إذ أن العلاقات الاجتماعية لعبت دورا مهما وكبيرا في حياة العمال والعاملات.

أما المحور الرابع؛ فهو حقوق الإنسان وارتباطه في قضية العمالة داخل السياق الاستعماري، أظهرت النتائج أن الغالبية العظمى تتعرض للانتهاكات الدائمة سواء الحق في الأجور والعمل، الحق في بيئة آمنة للعمل بكرامة، والحق في وجود حرية ومساواة وعدالة وغيرها من الحقوق الكاملة التي يحصل عليها العامل كغيره.

قائمة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية

أبو وردة، أمين، عيتاني، مريم، وعيد، وضاح. (2011). **معاناة العامل الفلسطيني تحت الإحتلال الإسرائيلي**. بيروت، لبنان: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.

إبراهيم، بلال محمد. (2010). الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية وأثره على التنمية السياسية .رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة النجاح الوطنية

أسعد، أحمد (2020). " من وحي الحياة اليومية للعامل الفلسطيني ملاحظات أولية عن الاغتراب" مؤسسة منظمة التحرير، فلسطين.

https://www.prc.ps

الإتحاد العام لنقابات عمال فلسطين. (2012). **تأسيس الحركة النقابية**. رام الله، فلسطين.

أنور علي البرعاوي. (2016). دراسة لبعض العوامل النفسية المرتبط بالحصار في قطاع غزة لدى عينة من الآباء الفلسطينيين .*مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية*.(1)*18*

بدر، أشرف (2019)، " السلطة (القوة)، الاخضاع، الاستبعاد بين فانون وفهمي"، جامعة بيرزيت، فلسطين.

بليردوح، كوكب الزمان، بجة& حياة. (2021). التوافق النفسي و الصحة النفسية: دراسة نظرية تحليلية. *مجلة العلوم الاجتماعية*، *15*(2)، 96-103.

بيير، ش ، ليفي، ب. (2011). **البحوث الكيفية في العلوم الإجتماعية**، (هناء الجوهري، مترجمة). القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة. (العمل الأصلي نشر سنة 1783).

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2010). **مسح القوى العاملة الفلسطينية**. رام الله، فلسطين.

الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. (2019). **مسح القوى العاملة الفلسطينية**: 2019. رام الله، فلسطين.

حجازي، مصطفى.(1998). **التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**. ط7 بيروت، لبنان، معهد الإنماء العربي.

حمامي، ريما (حكاية حاجز تفتيش في زمن الإحتلال.)2005. مجلة 102 – 114 . ،63 ،الدراسات الفلسطينية.

خليفة، محمد. (1996). **الطلب على العمالة الفلسطينية في إسرائيل والأراضي المحتلة**. كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة اليرموك: إربد، الأردن.

زايد، أحمد.(2006). **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات**، الكويت، شركة مطابع المجموعة الدولية.

ستراوس، انسليم، كوربين، جوليت. ترجمة الخليفة، عبدالله بن حسين(1999). **أساسيات البحث الكيفي أساليب وإجراءات النظرية المجذرة**، الرياض: معهد الإدارة العامة.

سعيد، إدوارد. (1995).**الإستشراق**. ترجمة كمال أبو ديب. بيروت: دار الأدب.

شرقية، جعفر. (2014). **الوضع القانوني للعمال الفلسطينيين (الضفة وغزة) العاملين داخل الخط الأخضر**. كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

الشربيني، زكريا، وأخرون .(2012). **مناهج البحث العلمي الأسس النظرية والتطبيقية والتقنية الحديثة**. القاهرة، مصر : دار الفكر العربي.

سكوت، جيمس.1995. المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم من وراء ظهر الحاكم. ترجمة إبراهيم العريس

ومخايل خوري. بيروت : دار الساقي. لبنان

الصباغ، زهير. (2018). **الطبقة العاملة الفلسطينية في الضفة الغربية نشأتها وتطورها.** رام الله، فلسطين: الرعاة للدراسات والنشر.

عبد القادر، بهتان.(2017).ميكانيزمات التعذيب النفسية الاستعمارية: قراءة في تصورات فانون، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، العدد 10، ص 27-29 أخذت من الانترنت بتاريخ 18-06-2022 من https://www.asjp.cerist.dz/en/article/27640

عبد المجيد، أيمن، و أبو غبوش، رانيا. (2017). الحركة العمالية و النقابية و البحث عن العدالة الاجتماعية في فلسطين المحتلة: دراسة الحالة.

العكش، منير. (2002). حق التضحية بالآخر: أمريكا والإبادات الجماعية، بيروت : رياض الريس للكتب والنشر.

عودة الله، كلثوم .(2009). *آليات الأمم المتحدة للحماية: الإجراءات الخاصة: الأرض الفلسطينية المحتلة كحالة دراسية.* (Doctoral dissertation, Birzeit University).

فريري، ب. (2003). نظرات في تربية المعذبين في الأرض(مازن الحسيني،مترجم). فلسطين، المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية : دار التنوير.

فانون، فرانز (١٩٦٣ .). معذبو الأرض. بيروت : دار الطليعة.

القاسم، سراب خالد .(2012) . *مفهوم الكرامة الإنسانية و علاقته بالمقاومة* (Doctoral dissertation, Birzeit University).

قزمار، عصمت (16 إبريل، 2020). " العمالة الفلسطينية في الداخل في ظل أزمة كوفيد" **مؤسسة الدراسات الفلسطينية**. https://www.palestine-studies.org/ar/node/1649945

كناعنة، شريف (محرر). (2008). **الهوية الفلسطينية إلى أين؟** البيرة، فلسطين، مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني، جمعية إنعاش الأسرة.

لدادوة، حسن.(2020) التحولات الطبقية في الضفة الغربية وقطاع غزة بعد أوسلو. **مجلة التقدمي**، **(1)**، ص 105-115.

المالكي، مجدي، شلبي، ياسر، ولدادوة، حسن (2004)المجتمع الفلسطيني في مواجهة الإحتلال، سوسيولوجيا التكيف المقاوم خلال انتفاضة الأقصى . رام الله، فلسطين: مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية.

مجلة الأندلس مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية. (2019). علم النفس الإيجابي: ماهيته، أسسه وافتراضاته، تطبيقاته: د. محمود عبده حسن محمد العزيزي. *مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية و الاجتماعية*. *6*(22).

مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية "شمس". (2018). **فيديو لجنود الإحتلال يعذبون عملاً فلسطينيين**. رام الله، فلسطين: مركز شمس.

المركز الفلسطيني للإرشاد، الحاجز – الأمني– وتأثيراته– النفسية https://www.pcc-jer.org/

الأونروا. (2020). **دليل توعوي صحي شامل**. فلسطين

منظمة التحرير الفلسطينية. (2020). **سياسات الإحتلال اتجاه العمال الفلسطينيين**. رام الله، فلسطين: مركز الأبحاث. https://www.prc.ps/

هلال، أميرة منير إندراوس. (2013). *تكتيكات التجاوز و المناورة عند المرأة الفلسطينية في ظل وجود الإستعمار الصهيوني: جدار الفصل العنصري نموذجا* (Doctoral dissertation, Birzeit University).

English References

Asad, T. (2003). Formations of the secular: Christianity, Islam, modernity. Stanford: Stanford University Press.

Berjot, S., & Gillet, N. (2011). Stress and coping with discrimination and stigmatization. *Frontiers in psychology*, *2*, 33.

Bulhan, H. A. (2004). *Frantz Fanon and the psychology of oppression*. Springer Science & Business Media.

Burton, M., & Kagan, C. (2005). Liberation social psychology: learning from Latin America. *Journal of community & applied social psychology*, *15*(1), 63-78.

Bottrell, D. (2009). Dealing with disadvantage: Resilience and the social capital of young people's networks. *Youth & Society*, *40*(4), 476-501.

Bontemps, V. (2011). Between Extreme Coercion and Individual Choice: Stories of Palestinians Working in Israel.

Danieli, Y. (ed.) (1998). International Handbook of Multigenerational Legacies of Trauma. New York: Plenum.

Connor, K. M., & Davidson, J. R. (2003). Development of a new resilience scale: The Connor-Davidson resilience scale (CD-RISC). *Depression and anxiety*, *18*(2), 76-82.

Dugas, K. J., & Schweitzer, J. H. (1997). Sense of Community and the Development of Block culture. *Ronald E. Mc-Nair Post Baccalaureate achievementProgramme, Michigan state University, www. Msu. edu/socomm/paper1997. htm*, *12*(01).

E. L. Woodward. 1971. A History of England. London: Methuen and Co Ltd.

Friedli, L., & World Health Organization. (2009). *Mental health, resilience and inequalities* (No. EU/08/5087203). Copenhagen: WHO Regional Office for Europe

GOUSSOT, A. (2012). Frantz Fanon et la rencontre avec l'autre: pour une psychologie transculturelle de la libération. L'Autre, 13(1), 95-101. Repéré à http://www.cairn.info/revue-l-autre-2012-1-page-95.htm

Hammami, R. (2005). On the Importance of Thugs/The moral economy of a checkpoint. *Jerusalem Quarterly*, (22-23).

Hamammi, Rema. 2006. "Resistance without Victory, Survival without Defeat: Sustaining Palestinian Life in a Geography of Adversity". Journal of Prince Claus Fund. #13. (68-83)

Haslam, Alexander. Jetten, Jolanda. Postmes, Tom. Haslam, Catherine. (2009). Social Identity, Health and Well-Being: An Emerging Agenda for Applied Psychology.

Herman, J. L. (1992). Complex PTSD: A syndrome in survivors of prolonged and repeated trauma. *Journal of traumatic stress*, *5*(3), 377-391.

Hilal, j. (2018). imperialism and settler-colonialism in west Asia: Israel and the Arab Palestinian struggle. utafiti journal, 1(1). - hook, d. (2004). frantz fanon, steve biko,'psych politics', and critical psychology.

Hogg, M. A. (2016). *Social identity theory* (pp. 3-17). Springer International Publishing.

Hook, D. (2004). Power, Politics and Culture: Interviews with Edward W Said. *Transformation: Critical Perspectives on Southern Africa*, *53*(1), 89-91.

Jinadu, A. (1976), Language and Politics: on the culture basis of colonialism. African Studies, XVI(3-4), 603-614.

Jiménez-Domínguez, B. (2009). Ignacio Martín-Baró's social psychology of liberation: Situated knowledge and critical commitment against objectivism. In *Psychology of Liberation* (pp. 37-50). Springer, New York, NY

Lykes, M. B. (1996). Meaning making in a context of genocide and silencing. In M. B. Lykes, A. Banuazizi, R. Liem and M. Morris (eds), Myths about the Powerless: Contesting Social Inequalities, pp. 159–78. Philadelphia: Temple University Press.

King, L. (2001). Why positive psychology is necessary. American Psychologist, 56(3), 216-217.

Al-Krenawi, A., Graham, J. R., & Sehwail, M. (2004). Mental health and violence/trauma in Palestine: Implications for helping professional practice. Journal of Comparative Family Studies, 35(2), 185–209

Krohne, H. W. (2002). Stress and coping theories. *International Encyclopedia of the Social Behavioral Sceinces*, *22*, 15163-15170.

Leonard, A., Miller, S. A., Christopher, R., Gleason, K., & Franklin, R. (2016). Theories in the field of community psychology. *Global Journal of Community Psychology Practice*, *7*(2).

Mcmillan, D., & Chavis, D. 1986. Sense of community: a definition and theory .*journal of community psychology,* 14, p 6-23.

Martín-Baró, I., & Martín-Baró, I. (1994). *Writings for a liberation psychology*. Harvard University Press.

Meari, L. (2014). Sumud: A Palestinian philosophy of confrontation in colonial prisons. *South atlantic quarterly*, *113*(3), 547-578.

Mbembe, A. (2007). De la scène coloniale chez Frantz Fanon. *Rue Descartes*, *58*(4), 37-55.

Makkawi, I. (2017). The rise and fall of academic community psychology in Palestine and the way forward. *South African Journal of Psychology*, *47*(4), 482-492.

Makkawi, I. (2015). Community psychology enactments in Palestine: Roots and current manifestations. *Journal of Community Psychology*, *43*(1), 63-75.
Matar, H. (2015, January 21). Report details ‘double tap’ bombings that hit first responders in Gaza. Retrieved February 3, 2015 from http://972mag.com/report-details-idf-double-tapbombings- that-hit-first-responders-in-gaza/101627
Nelson,Geoffery & Prilleltensky,Issac (2005). *Community Psychology in pursuit of Liberation and well – being.* New York.
Shehadeh, S. (2015). The 2014 War on Gaza: engineering trauma and mass torture to break Palestinian resilience. *International Journal of Applied Psychoanalytic Studies*, *12*(3), 278-294.
Summerfield, D. (2001). The invention of post-traumatic stress disorder and the social usefulness of a psychiatric category. British Medical Journal, 322(7278), 95–98.
Orford, Jim. 2008. “Community Psychology: Challenges, Controversies, and Emerging Consensus”. *School of Psychology.*
Pappé, I. (2008). Zionism as colonialism: A comparative view of diluted colonialism in Asia and Africa. *South Atlantic Quarterly*, *107*(4), 611-633.
Powley, E. H. (2009). Reclaiming resilience and safety: Resilience activation in the critical period of crisis. *Human relations*, *62*(9), 1289-1326.
Portillo, N. (2012). The life of Ignacio Martín-Baró: A narrative account of a personal biographical journey. *Peace and Conflict: Journal of Peace Psychology*, *18*(1), 77.
Taylor, D. C. (1987). Scott, James C. Weapons of the Weak; Everyday Forms of Peasant Resistance. New Haven CT and London: Yale University Press, 1985, xxii 389 pp.. *American Journal of Agricultural Economics*, *69*(1), 206-207.
Wilkinson, A. (1998). Empowerment: theory and practice. *Personnel review*, *27*(1), 40-56.
Reyes, H. (2007). The worst scars are in the mind: psychological torture. *International Review of the Red Cross*, *89*(867), 591-617.
Riessman, c.k. (2008). Narrative methods for the human sciences.

Stein, C. H., & Mankowski, E. S. (2004). Asking, witnessing, interpreting, knowing: Conducting qualitative research in community psychology. *American Journal of Community Psychology*, 33(1-2), 21-35.

Tajfel, H., & Turner, J. (1986). The social identity theory of intergroup relations, - Psychology of Intergroup Relation

Ungar, M. (2008). Resilience across cultures. *The British Journal of Social Work*, *38*(2), 218-235.

Veracini, L. (2011). Introducing: Settler colonial studies. *Settler colonial studies*, *1*(1), 1-12.

الملاحق

ملحق رقم 1

الخارطة التوضيحية لمحاور الدراسة (الشكل رقم 1)

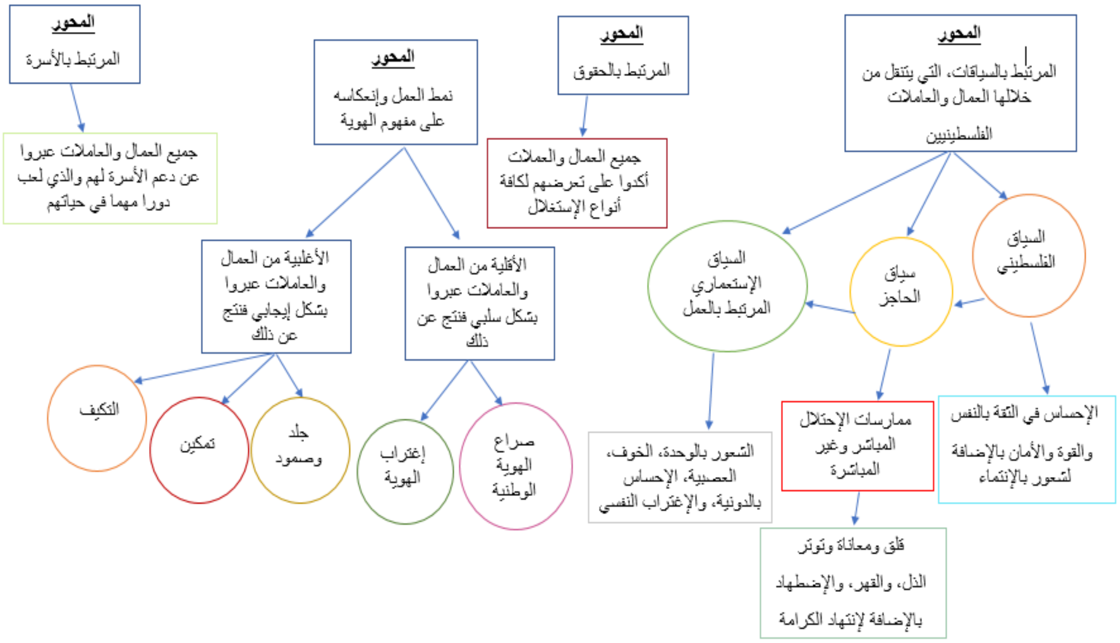

ملحق 2

<u>دليل المقابلات</u>

التعمق في تجارب العمال والعاملات الفلسطينيين في السياق الاستعماري وانعكاسه على الصحة النفسية.

المحور الأول ويضم تجارب العمال والعاملات الفلسطينيون

1- تحدث/ي عن طبيعة العمل في السياق الاستعماري؟

2- لماذا فضلت/ي أو توجهت/ي للعمل ضمن السياق الاستعماري؟

3- تحدث/ي عن التجارب اليومية للعمال والعاملات في السياق الاستعماري؟

المحور الثاني المتعلق بالعمل ضمن السياق الاستعماري

4- تحدث/ي عن الديناميكيات او الطرق التي تتعامل / ي معها خلال توجهك ووصلك للعمل؟

5- تحدث /ي عن الصعوبات والضغوطات التي تواجهك خلال التوجه للعمل أو خلال أوقات العمل؟

ملحق رقم 3

<u>بعض من المقابلات التي تم إجرائها</u>

<u>مقابلة مع العاملة فدوى:</u>

أنا فدوى من بيت لحم، متزوجة، بدأت عملي كعاملة في مصنع حلويات بتل أبيب قبل سنتين بسبب توقف عملي في مجال السياحة، وخاصة لما بلشت الكورونا كنت بحاجة لعمل ولتحسين وضعي الإقتصادي، عشان بعاني من مشاكل صحية في أسناني.

في بداية عملي الجديد كنت خايفة ومتوترة عشان هذه تجربتي الأولى إلي بطلع فيها من بيت لحم وأنا كأم عمري 57سنة ما كان عندي الجرأة أنه اشتغل خارج البلد!! فبعتبر هذه التجربة مغامرة إلي وخلتني أتعرف على نفسي أكتر وأعرف قديش أنا بقدر أكون سيدة مستقلة ومتحررة.. متحررة بمعنى أنه قبلت بالتحدي عشان أساعد حالي وزوجي في الظروف الصعبة إلي مرقت فيها بفترة الكورونا!

تجربتي هذه من أصعبها كان أنه اطلع على المحسوم وأكون مع غيري من العمال خلتني أفكر قديش أنا قوية وبقدر أعمل أشياء ما كنت متوقعتها من حالي زي أنه استنى مع العمال صحيح إحنا كستات إلنا معاملة خاصة من أخوتنا العمال على الحاجز! بس كنت في بعض المرات بالأزمات الكبيرة بضطر استنى كغيري من العمال في ظروف غير إنسانية وخاصة في البرد الكتير والحر الشديد!!. وكنت أصَبح من الساعة 4 على الحاجز لساعة 6 وبعدها كان في سيارة تاخدنا للمصنع، كنت أشتغل تقريبا 10 ساعات من ضمنهم كان في ساعة ونص راحة، طبعا كان معي تصريح وكنت أشتغل بشكل قانوني، لغتي ساعدتني عشان بشتغل في السياحة

تعلمت أكثر من لغة، الإنجليزي والعبري والإسباني.. وبعتبر أنه أنا قوية لأني بفهم اللغة (لغتهم) وقادرة أتواصل معهم يعني أتواصل مع اليهود وكمان "عرب إسرائيل" وخاصة سكان بئر السبع والمناطق هديك، وكانوا الصبايا الموجودات أقوى مني لأنهم عندهم خبرة أكبر في العمل بالمصنع بس أنا اقدرت اثبت حالي وأكون قادرة انه اشتغل في الضغط واكتشفت انه بقدر أكون امرأة قوية وشخصيتي ساعدتني انه الكل في المصنع بحترمني حتى المشغل الإسرائيلي، بس بتعرفي كيف الوحدة بكون عندها قلق وخوف من حالها لما تبلش تجربة جديدة وأنا أول مرة بطلع برا بيت لحم، وخاصة أنه أنا عايشة في بيئة محمية، واكتشفت أنه عندي الصبر والحكمة كيف أتصرف بكتير من المواقف الصعبة في الشغل وكيف أكون قادرة أحكي لاء لأي إشي ممكن يزعجي أو يأثر علي!! لانه هادا الشغل متعب، فإكتشف أنه عندي إرادة قوية وصبر أنو اضل صامدة، ودعم عيلتي وأخواني وأصدقائي ساعدني أتخطى جميع الصعوبات واستمر في شغلي رغم الكثير التحديات وكان أولها قلق زوجي وابنائي على من الشغل في إسرائيل، أحسن إشي صار أنه نفسيتي تغيرت كنت أضل مكتئبة وما أحب أطلع واختلط في حدا!! بس اكتشفت حالي في هل الشغل هادا وخصوصي أنه عندي هواية أعمل حلويات!! وحبي لعملي خلاني أبدع في!.... وهاد بالنسبة إلي مقاومة للإحتلال وأنه احنا هون وإحنا بنقدر ندافع عن وطنا في معرفتا وصبرنا وقتنا إنه إحنا موجودين حتى لو ما بمنعونا نطلع على القدس بس بعتبر شغلي هادا هو نضال وراح أضل أناضل عشان أقدر أعيش وأحسن من حالي وظروفي وكمان هيك بشجع غيري من النساء يعملوا معي أو حتى في محلات تانية المهم نبقى نطلع وندخل على القدس وعلى أرضنا !!.

ملحق رقم 4

مقابلة مع العامل مصطفى

مصطفى من سكان بتير، أنا بعمل في مصنع بمستوطنة "معالي ادوميم" وحاليا صرلي حوالي 10 سنوات، السبب الرئيسي في تركي لضفة ما في شغل، صدقا كنت أشتغل في محل لبيع الأدوات الزارعية وما كان الدخل الشهري يوصل إلى 2000 شيكل، مزبوط الظروف اليومية إلي بمرق فيها مش سهلة بس على الأقل يصل معاشي إلى 8000 شيكل!!!!.

متزوج ولدي طفلين واسكن انا وزجتي مع أهلي، لما بطلع على شغلي أمي بتساعد زوجتي في الأولاد بتهتم فيهم وكمان لما أضطر أنام في الشغل بكون مطمن عليهم أنهم مع أهلي في أمان، علاقتنا مع بعضنا علاقة قوية، ومنساند ومندعم بعض".

أنا معي تصريح عمل، ببلش يومي على الحاجز وبعتبره أول عقبة أمامي، والحاجز بتعرض دائما فيه لتفتيش الجسدي الشديد يعني بتعرض للتصوير الإشعاعي الكامل وبشعر بالذل والقهر والإهانات والتفتيش الشخصي في بعض المرات يصل إلى " شلح ملابسي تماما"!!!..... غير مزاجية الجنود التي تعيق وصولي للعمل في بعض الأوقات بوقفوني وبروح على يوم عمل وهون المصنع ما بعوض هذه الأيام الضائعة !!!!، طبعا في بعض الأيام إلى بكون فيها تسكير لأي سبب من الأسباب بضطر أنام في المصنع، طبعا صاحب المصنع بعطيني غرفة والباقي مثل (الفراش والحرامات) انا بشتريها!!! غير أنه الغرفة ما بتكون مجهزة في الدفئة بالشتا أو بالمكيف بالصيف!!! وأعاني من مشكلة صحية في السمع بسبب صوت الماكينات الي نسمعها يوميا تصل إلى 8 ساعات، العام الماضي بدأت في وضع سماعات

لاسمع!!! عدا عن المعاملة السيئة من طرف صاحب المصنع فهو إسرائيلي بتعرض للصراخ والشتم والعمل بشكل متواصل غير أنني بحاجة لراحة خلال النهار لكن فقط بعطيني 10 دقائق، ودايما بتعرض لتهديد وللطرد من الشغل!!!، غير أوجاع الظهر بسبب الوقوف لساعات طويلة!!.

طبعا كل هذه الظروف اليومية الي بعيشها يوم بيوم بتأثرعلى نفسيتي بشكل كبيرة، في بعض المرات من كتر التفتيش على الحاجز والأزمة بوصل المصنع وما بقدر أكمل يومي بضل تعبان ومكتئب لوقتيش هل حياة هايّ !! بدي أعيش في كرامة وحرية أنا وعيلتي. ودايما بوصل في وقت متأخر للبيت ما بصدق وأنا اتعشى وأنام أولادي ما بشوفهم، أمي ما بشوفها!! ومرتي إذا بشوفها بس 10 دقايق وبنام عشان عندي صحوة الفجر!!.

بحس حالي صرت دايما معصب وتعبان وما في عندي هدوء ولا استقرار نفسي، وبكون مقهور من جواتي عشان بدي أعيش اولادي حياة كريمة وحلوة وأكون قادر انه اوفرلهم كل اشي، مرات ما بتحمل احكي معهم انا ما كنت هيك!! في الأخر بقدر أحكي انه انا كعامل زيي زي هل العمال بطلع على شغلي عشان لقمة العيش !!، بس هاي لقمة مرة وصعبة لانه فيها تعب كبير!!، يا ريت لو السلطة بتهتم فينا وبتعطينا دخل ما بطلع بتعتس هيك!! أكتر سبب خلاني متمسك بشغلي انه بقدر من وراء هل شغل اوفر شوي مصاري للأولاد وكمان أصلح بيتي ويكون بيت منيح! أنا كفلسطيني بحب بلدي وكمان إشي مهم أقدر اطلع على القدس هاي مش إسرائيل هاي بلدنا ووطنا ومن حقي أنه اتمسك في شغلي على الأقل بطلع على المسجد وبصلي في وطني وبلدي!!

ملحق رقم 5

الأماكن التي تمت بها اللقاءات	
(حاجز 300) على بعد مسافة متر أو اكثر قبل الوصول للحاجز وذلك لعدم تعرض العمال للخطر من إطلاق النار عليهم.	**بلغ عدد المقابلات أربعة مقابلات من الذكور**
عبر وسائل التواصل الاجتماعي/ واتس آب.	**بلغ عدد المقابلات خمسة مقابلات من الذكور**
مكان السكن / البيوت.	**بلغ عدد المقابلات ستة مقابلات من الإناث**

ملحق رقم 6

مكتبة بغداد الثقافية – بيت لحم
Baghdad Bookshop - Bethlehem
0598176186/022754904
Baghdad.bookshop@gmail.com
Whatsapp:00972569124202

مكتبة بغداد الثقافية

شهادة تدقيق لغوي باللغة العربية

تشهد إدارة مكتبة بغداد الثقافية والدكتور جورج أبو الدنين أن الدراسة بعنوان "التجارب اليومية للعمال والعاملات الفلسطينيين داخل الخط الأخضر وانعكاسها على الصحة النفسية" للطالبة نادرة صالح في كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة بيرزيت، قد دُققت لغوياً وعُدلت على الملف نفسه تحت إشراف الدكتور جورج أبو الدنين أو من ينوب عنه في قسم الخدمات اللغوية في المكتبة. وقد أعطي/ت هذه الشهادة بناء على ذلك.

التاريخ 24/7/2023

الختم والتوقيع

مكتبة بغداد الثقافية
د. جورج أبو الدنين
pgspari@gmail.com
0598176186